مجلة البيان مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية
هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان – العدد 48 ، شعبان 1412هـ / يناير 1992م

الافتتاحية

أيها المسلم

إنك تعاني ما لا يعانيه غيرك من البشر، جهودك تضيَّع، وخططك تدمر، وأحلامك تُغتال . وتتواتر عليك المصائب دون انقطاع . إن من يقرأ ما كـتب عنك ولا يعرفك يخرج بنتيجة حتمية - هذا إذا أنصف - وهي أنك أصبحت منبوذ هذا العصر ، يتحاماك الناس في كل مكان ،وينفرون منك لا لشيء ،إلا لأن عقولهم امتلأت بالصـور القـبـيـحــة الـتي يرسمهـا الإعلام لك ، والإعلام في هذا العصر هو السلاح الذي لا يوضع ، والحرب الـمشنونة التي لا تهدأ ، إنك تواجه ضربين من الحروب :

أ- ضــرب يجـيء ويـذهـب بـيـن الفـيـنـة والفينة ، حينما تبلغ الكراهية الذروة ، ويصل الضجيج إلى منتهاه ،ولا يسكت إلا حينما يشـفـي غلـيلـه السنان والحسام والمدفع والدبابة والصاروخ .

ب- وضرب هو هذا "العرس الإعلامي" القائم الدائم بفحيحه وضجيجه ، والذي لا يهدأ عن الهجوم على الإسلام : أفكاراً وأشخاصاً .

والضرب الثاني هو الأقسى والأنكى لأنـــــــه الأبقى ، ومع أن الأول آلامه أعم ، وبلاياه يحس بها الجميع ،إلا أن الثاني لا يشعر به إلا العلماء وقادة الفكر وذوو الحس الحي في الأمة ، الذين يتألمون لمصائب غيرهم ويشفقون من الآتي قبل حلوله .

إنك - أيها المسلم - غدوت ضحية هذه الحــضــــــــارة المادية العاتية ، تريد أن تطحنك برحاها ، فتجدك عسر الهضم صعب المكسر ، وهذا من أكبر العزاء لك ،فلتكن ثقتك بالله قوية ، ولا تحتقر نفسك وتشكو الضعف ،وتجنب طريقة بني إسرائيل حيث شكوا لموسى عليه السلام الضعف والضراعة والاستكانة : ((قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ومِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ويَسْتَخْلِفَكُمْ فِـي الأَرْضِ فَـيَـنـظُـــرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) [الأعراف 129] .

أفـلــس أعداؤك جميعاً ، مادياً ومعنوياً ، أفلسوا من الخلق والدين والدنيا ، باعوا دينهم بعرض قليل منزوع البركة ، ينطبق أكثره على نشر الفساد واستئصال المعروف وإرساء المنكر وإشاعة التقاليد الفرعونية ، كل ذلك خوفاً منك ، وعلاجاً لحضورك الذي يخيف سَدَنَة الفرعنة ، ويهدد تقاليدها العفنة ورسومها المنخورة .

فاعـــــرف نفسك - أيها المسلم - واعلم أنك - إن صدقت النية واستجمعت العزم - كنت اليد التي تُنَفَّذُ بها إرادة الله في الأرض من سحق الباطل وإنعاش الحق .

إن أعـــداءك يسـلـكـــون في سبيل إضعافك وإلغائك سياسة النَفَس الطويل والبناء الهادئ والمشاعر الباردة التي لا تسـتـثــار بسهولة ، اطوِ قلبك على كراهية الكفر ورموزه ، واثنِ جوانحك على مقت الخيانة والمكر التي تجرّب عليك كل حين ، ولكن إياك أن تُستَدْرَجَ إلى عمل ينتظره شانئوك للإيقاع بك.
أجِّـــــل خلافاتك مع من يشاركونك كلمة التوحيد، ويهدفون مثلك إلى إحياء عقيدة أهل السنة والجمــاعة ، واستخلاصها من براثن الماسخين والمستغلين ، فأعداء هذه العقيدة أمرهم عَجَبٌ في كـثــــرتهم وتنوعهم واجتماعهم على هذا الهدف ،رغم اختلافاتهم العميقة . وجِّه كل جهدك إلـى مــــن يريدون حصرك في مفهوم للدين من صنعهم ، فهؤلاء هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . هؤلاء هم وكلاء الاستعمار بين ظهراني المسلمين ، وهم موضع ثقته ، وعيبةُ أسراره ، ورواد دهاليزه .
إياك أن تنخدع بدعوى أن بلادنا مستقلة ، حرة في قراراتها وإراداتها ، تلفَّت يمنة تجد ألف دليل ودليل في كل صقع على أننا مكبلون ، يُقرأ لنا ، ويرسَمُ لنا ، ويزرَع لنا ، ويصنَع لنا ، ويحفرَ لنا .
إن صعوبة المرحلة الاستعمارية المكشوفة - مع شراستها ومرارتها - لا تقارن بما يحدث في هذه المرحلة التي أعقبت تلك ، التي يدبر أمرك فيها عدو من جلدتك بقلب مجلوب وعقل مستعار . لقد بان الصبح لذي عينين ، فأنت الذي يحمل الشرعية ، وأمامنا مثالان حاضران من أمثلة كثيرة ، أحدهما في شرق الأرض ، والآخر في غربها .
أما الأول ففي أفغانستان ، حيث أنت الذي قام في وجه الإلحاد الغازي ، وصليت بنار الشيوعية قبل أن توليِّك الأدبار تحت شدة ضرباتك الموفَّقة واستوصت على وليدها الخديج (1) كل من خَبُث من الأوصياء ، قبل أن تندثر في مقبرة التاريخ .
وأما الآخر ففي الجزائر ، لما قام الشعب هناك ، فصحَّحَ خطأ عمره ثلاثون سنة سلماً لا حرباً ، وأفصح عن إرادته تحت رقابة هؤلاء الذين يغتصبون هذه الإرادة بكل صلافة وصفاقة وبعد عن المعقول حيث :

أجمـعوا أمرهم عِشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

وقالوا : هذا لا يكون ، وما هكذا رجونا أن تكون النتيجة ، "والشعب لم يصوِّت على شيء"!! الديموقراطية في خطر . الوحى الوحى ، أدركوها قبل أن يعصف بها الإسلاميون !!
يا لله وهذا الافتراء! كيف يدان شخص قبل اقترافه الجريمة ؟ ويدان ممن؟ ممن يداه ملطختان بدماء الأبرياء ، وجيوبه منتفخة من حقوق المستضعفين !

أيها المسلم :

لا تستغرب ما ترى ، فأنت تعيش في عصر الغرائب والأعاجيب ، وحسبك هذا ليدفعك إلى الصبر والعمل ليل نهار دون كلل ولا ملل ، لا تسمح للإحباط أن

يتسرب إلى نفسك ، فحق لك أن يتعب منك المرجفون ولا تتعب ، وييأس من ثنيك عن عزيمتك وأهدافك دهاقنة الباطل ولا تيأس . لا تبالِ بالأوصاف الكاذبة التي تلصق بك ، ولا بالأقلام المأجورة التي تنهشك ، ولا تصرِفْك الدعايات المسمومة التي تلفَّق ضدك عما توجهت له.

يعيبون عليك الاشتغال بالسياسة ؟ وهل شرط المشتغل بالسياسة أن يتخلى عن دينه ، ويدوس الأخلاق ، ويترك هذا المجال لمحترفي الدجل يرسون دعائم الفساد ويحوطونها بالشريعات الباطلة ، ويحرسونها بالدساتير والقوانين المفصلة على قدِّ نواياهم الخبيثة ، وسلوكهم المنافق ؟ لم هذا التردد والخوف البادي على تعبيراتك وأعمالك كلما سمعت من يتهمك بحب السلطة والحكم مع أنك لم تمارسهما يوماً ، وكأنه عار وشنار تحب أن تتوارى منه ، مع أن غيرك - وهو السفيه الأرعن ، والجاهل الرعديد - تراه واثقاً من نفسه ، لا يفكر أن توجه له مثل هذه التهمة مع أنه متلبس بهما تلبساً كأن أمه ولدته على رقاب الناس ؟

إن الباطل لا يستبحر في دنيا الناس ولا يعرِّش إلا حينما يراهم يحبون الدعة والراحة والرفاه الكاذب الذي يُمنِّيهم به ، ويستحون مما لا يستحى منه ، فيخجلون من الرجولة ، ويتفاخرون بالفرار من تسمية الأمور بأسمائها التي وضعها لها البشر الأسوياء .

أيها المسلم :

إن الباطل ذا الرؤوس المخيفة الذي يخوفـونــك مغبة غضبته ليس كما يدعون ، نعم ، له أساليب جهنمية ، وأرواح كثيرة ، سبعة أرواح! ولـكـنـهــــا أرواح قصيرة كأرواح القطط والكلاب ، فلا ترعك غضبته ، ولا تصرفك عن طِيَّتِك أساليـبــه وتجاربه ، لا تتردد عن الإصرار على دمغه بحقك فيزهق ويضمحلّ ، ((وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِـنُــونَ * بِنَصْرِ الله يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ))[الروم 4-5] .

الهوامش :

1- الخديج : المولود الذي يولد ناقصاً .

القواعد الفقهية

عبد العزيز الحويطان

معنى القاعدة لغة واصطلاحاً :

القاعدة لغة: الأساس(1) وتجمـع على قواعد وهي : أسس الشيء وأصوله حسياً كان ذلك الشيء أو معنوياً.

قال تعالى : ((وإِذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإسْمَاعِيلُ...))

وقال تعالى : ((فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ القَوَاعِدِ...))

واصطلاحاً : عرفها الجرجاني بأنها "قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"(2) .
وقال تاج الدين السبكي : "هي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها"(3) .
إذاً فقد عرفها السبكي بأنها أمر كلي ، لكن الحموي له تعريف آخر فهو يعتبرها أمر أكثري أو قضية أغلبية فهو يقول : "إن القاعدة هي عند الفقهاء غيرها عند النحاة والأصوليين ، إذ هي عند الفقهاء حكم أكثري لا كلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها"(4) .
لكن ما السبب في جعلها حكماً أغلبياً لا كلياً ؟
سيأتي معنا بعد قليل أن القاعدة تنخرم في بعض الأمور أي تشذ بعض الفروع فلا تنطبق على القاعدة ، ولذا سميت قضية أو حكماً أغلبياً .
إذاً نستطيع أن نعرفها بأنها "حكم شرعي في قضية أغلبية يتعرف منها أحكام ما داخل تحتها"(5) .

الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي :

حتى نعرف الفرق بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي ، يجدر بنا أن نعرف الضابط الفقهي أولاً ، ومنه يتضح الفرق إن شاء الله .
قال العلامة تاج الدين السبكي : "والغالب فيما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة أن يسمى ضابطاً"(6) .
هذا هو المقصود بالضابط الفقهي ، وهو أنه قاعدة تختص بباب واحد فقط .
أما الفرق بينهما ، فقد قال ابن نجيم :
"الفرق بين الضابط والقاعدة : أن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى ، والضابط يجمعها من باب واحد ، هذا هو الأصل"(7). وأكد ذلك السيوطي - رحمه الله - في كتابه الأشباه والنظائر حيث قال: "القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى والضابط يجمع فروع باب واحد"(8) .
وحتى يتضح الأمر تماماً دعنا نضرب مثالاً للضابط الفقهي ، وهو حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "أيما إهاب دبغ فقد طهر"(9) . فهذا الحديث يعتبر ضابطاً لطهارة الجلود في باب الآنية ، لذلك يقول الإمام إبراهيم النخعي -رحمه الله- : " كل شيء منع الجلد من الفساد فهو دباغ"(10) .
أما مثال القاعدة فهي قاعدة "الأمور بمقاصدها" نجد أنها تدخل في أغلب أبواب الفقه إن لم يكن جميعها..
بهذا نكون قد وقفنا على الفرق بين الضابط والقاعدة في الفقه ، وهذا لا يمنع أن يكون بعض العلماء قد ساروا في كتبهم على عدم التفريق بينهما .

الفرق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية :

أول من وجد له كلام عن التفريق بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية الإمام القرافي -رحمه الله- ، حيث يقول :
"فإن الشريعة العظيمة المحمدية اشتملت على أصول وفروع ، وأصولها قسمان :
1- المسمى بأصول الفقه وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة ، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ونحو الأمر للوجوب والنهي للتحريم ، والصيغة الخاصة للعموم ونحو ذلك...
2- قواعد فقهية كلية ، كثيرة العدد عظيمة المدد ، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه ، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى ، ولم يذكر شيء منها في أصول الفقه ، وإن اتفقت الإشارة إليه هناك على سبيل الإجمال فبقي تفصيل لم يتحصل"(11) . إذا فالشريعة من أصولها أصول الفقه والقواعد الفقهية كما قال القرافي .
ولو أنعمنا النظر في القواعد الأصولية والقواعد الفقهية ، لوجدنا بينها فروق نذكرها على سبيل الإيجاز :
1- أن أصول الفقه بالنسبة للفقه ميزان وضابط للاستنباط الصحيح ، شأنه في ذلك شأن علم النحو لضبط النطق والكتابة ، فهي التي يستنبط بها الحكم من الدليل التفصيلي وموضوعاتها دائماً الدليل والحكم ، كقولك : الأمر للوجوب والنهي للتحريم والواجب المخير يخرج المكلف من العهدة فيه بفعل واحد مما خير فيه . أما القاعدة الفقهية فهي كلية تنطبق على جميع جزئياتها ، وجزئياتها بعض مسائل الفقه ، وموضوعاتها دائماً هو فعل المكلف .
2- القواعد الأصولية كلية تنطبق على جميع جزئياتها ، أما القواعد الفقهية فإنها أغلبية وتكون لها المستثنيات .
3- القواعد الأصولية ذريعة لاستنباط الأحكام الشرعية ، أما القواعد الفقهية فهي عبارة عن مجموعة الأحكام المتشابهة التي ترجع إلى علة واحدة تجمعها .
4- القواعد الفقهية متأخرة في وجودها الذهني والواقعي عن الفروع ، لأنها جمع لأشتاتها وربط بينها ، أما الأصول فالغرض الذهني يقتضي وجودها قبل الفروع لأنها القيود التي أخذ الفقيه نفسه بها عند الاستنباط"(12) .
هذه هي أهم الفروق بينهما ، ولعلها اتضحت إن شاء الله . ويبقى أن نذكر أن من أهم مميزات القواعد الفقهية أنها تخدم المقاصد الشرعية العامة والخاصة ، وتمهد الطريق للوصول إلى أسرار الأحكام وحكمها(13) .

معنى الأشباه والنظائر :

هذا المبحث لأول وهلة يظن المرء أن لا دخل له في القواعد الفقهية ، لكن كتب الأشباه والنظائر مليئة بالقواعد الفقهية وفنون أخرى ، ولذلك ألحق بهذا البحث . فما تعريف الأشباه ؟؟

- كلمة شِبْه أو شَبَه هي المثل في اللغة(14) ، والنظير : المثل المساوي (15) .

أما اصطلاحاً فقد عرف تاج الدين السبكي -رحمه الله- الأشباه فقال : "إن الأشباه : هو أن يجتذب الفرع أصلان ويتنازعه مأخذان فينظر إلى أولاهما وأكثرهما شبهاً فيلحق به(16) . مثال ذلك : "إلحاق العبد المقتول بالحر ، فإن له شبهاً بالفرس من حيث المالية وشبهاً بالحر لكن مشابهته بالحر في الأوصاف والأحكام أكثر فألحق بالحر(17).

وقد عرف الحموي الأشباه فقال : "المراد بها المسائل التي يشبه بعضها بعضاً مع اختلاف في الحكم لأمور خفية أدركها الفقهاء بدقة أنظارهم ، وقد صنفوا لبيانها كتباً كفروق المحبوبي والكرابيسي" (18) .

إذاً فالأشباه هي الفروع المتشابهة ظاهراً والمختلفة باطناً لعله معينة ، وأصل هذه الكلمة يرجع إلى كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري حيث جاء فيه : "الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسنة ، اعرف الأمثال والأشباه ، ثم قس الأمور عند ذلك ، فاعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى"(19) .

هذا فيما جاء في أصل هذه الكلمة ، أما كلمة النظائر فلم يرد فيها أثر ، لكن الفقهاء أضافوها إلى كلمة الأشباه مقابلة لها ، وذلك أنهم ألفوا فنوناً فقهية عبارة عن أحكام متشابهة مع وجود بعض الفروق بينها(20).

فالفروق أقاموا كلمة النظائر بدلها ، وبعض المؤلفين ألف كتباً وسماها الفروق ، بينما بعضهم ألف في نفس الفن وجاء بالأشباه والنظائر ، ولذلك يقول السيوطي : "والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجهاً واحداً"(21).

أما أول من ألف في الفروق فهو الإمام أحمد بن عمر بن سريج الشافعي (306 هـ) ثم توالت التأليفات بعده(22) .

وقد عرف صاحب الفوائد الجنية الفروق فقال : "معرفة الجمع والفرق : أي معرفة ما يجتمع مع آخر في الحكم ، ويفترق معه في حكم آخر كالذمي والمسلم يجتمعان في أحكام ويفترقان كذلك ، ومن هذا الفن نوع يسمى الفروق : وهو معرفة الأمور الفارقة بين مسألتين متشابهتين بحيث لا يسوى بينهما في الحكم"(23) .

وقال أبو محـمــــد الجويني : "فإن مسائل الشرع ربما تتشابه صورها ، وتختلف أحكامها لعلل أوجبت اخـتـــلاف الأحكام ، ولا يستغني أهل التحقيق عن الإطلاع على تلك العلل التي أوجبت افتراق ما افترق منها واجتماع ما اجتمع منها"(24) .

ومن الأمثلة على ذلك:"إذا طرح في الماء تراب فتغير به طعمه أو لونه أو ريحه ، لم يسلبه التطهير ، ولو مزج فيه طـاهــر غير التراب كالزعفران والعصفر والصابون والملح الحجري فتغير بمخالطه بعض صفاته سلبه التطهير ، والفرق بينهما أن التراب يوافق الماء في صفتيه الطهارة والتطهير ، فلا يسلبه بمخالطته شيئاً منها..."(25) .
ومما سبق يتبين أن علم الأشباه والنظائر هو نفسه الفروق ، وهما يشملان القواعد الفقهية ، لأن علم الأشباه والنظائر يحوي الألغاز والحيل وفنوناً عديدة منها القواعد الفقهية..
"يتبع"

الهوامش :

1- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 406
2- التعريفات للجرجاني ص 171
3- القواعد الفقهية لعلي أحمد الندوي
4- غمز عيون البصائر شرح الاشباه والنظائر 1/22
5- القواعد الفقهية لعلي أحمد الندوي ص 43
6- القواعد الفقهية
7- الأشباه والنظائر لابن نجيم ص 192
8- أخرجه الترمذي ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في جلود الميتة إذا دبغت ، وقال : حديث حسن صحيح .
9- الآثار لأبي يوسف ص 232
10- الفروق للقرافي 1/2-3
11- انظر القواعد الفقهية ص 58- 61 ، للإطلاع على مزيد من هذه الفروق .
12- مصدر سابق ص 61
13- تاج العروس 9/393
14- مصدر سابق
15- الأشباه والنظائر ص 17
16- كشف اصطلاحات الفنون 4/173
17- غمز عيون البصائر
18- سنن الدارقطني 4/206 وسنن البيهقي 10/115
19- القواعد الفقهية ص 68
20- الحاوي للفتاوى 2/273
21- القواعد الفقهية
22- الفوائد الجنية 1/87
23- القواعد الفقهية للندوي ص 73 ، وعزاه إلى كتاب الفروق للجويني - شريط مصور .

24- القواعد الفقهية ص 74 ، وعزاه إلى كتاب الفروق للسامري - شرط مصور .
25- أخرجه البخاري ، كتاب الديات ، باب : المعدن جبار والبئر جبار 6/2533 ترقيم البنا .

أثر الضعف الخلقي في سقوط الأندلس

د. حمد بن صالح السحيباني

حينما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، كانوا قد انصهروا في بوتقة الإسلام ، حيث تأدبوا بآدابه ، فـاتـبعوا أوامره، واجتنبوا نواهيه ، كما مثلوا أخلاقياته وما يدعو إليه من قيم سامية واقعاً ملموساً، أدركها جميع أهل تلك الديار، فأعجبوا بها . فقد قال أحد قادة لذريق في رسالة بعـث بـهـا إلـيـه يصف بها جيش المسلـمـيـن الأول الذي عبر إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد:" لـقـد نـزل بأرضـنــا قـــوم لا ندري أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض"(1) .

وقد بـقـي الـمـسـلـمون خلال القرون الثلاثة الأولى من وجودهم هناك، محافظين على تلك القيم، معتزين بها . ولكن مع مضي الزمن بدأ البعض منهم بالتحلل منها مما أفقدهم شيئاً من مقومات أصالتهم ووجودهم هناك وقد أدرك هذه الحقيقة ابن خلدون حين قـــال:"إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسـلـوك طريقها ، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما أدى الى ضياعه"(2) .

كـمـــــا أدركها كوندي - أحد الكتاب النصارى - حيث قال : "العرب هَوَوْا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها ، وأصبحوا على قلب متقلب يميل الى الخفة والمرح والاسترسال بالشهوات"(3) .

وصدق الله الـعـظـيـم إذ يـقـول ((وإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً)) [الإسراء 16] .

ومنذ أن بدأ الضعف في الجـــانب الخلقي عند بعض مسلمي الأندلس بالظهور كعرض من أعراض بعدهم عن منهج الله انتاب الوجود الإسلامي هناك نوع من الضعف وذلك لأن كل تقدم حضاري وسياسي وسمو فـكـــــري وارتفاع معنوي وأية عزة في السلطان كان مرده إلى التمسك بالإسلام ، ومرتهنا بمقدار الالتزام بشريعته(4) .

ولما كان هذا العامـل من أهم عوامل سقوط بلاد الأندلس رأيت أن أكتب حول هذا الموضوع حيث سأقوم - بعـون الله - برصد هـــذه الـظـاهــــرة منذ بدايتها كعامل أثر على الواقع السياسي والعـسـكـري للمسلمين هناك، منذ عصر ملوك الطوائف حتى خروج المسلمين من تلك الديار.

ونظراً لتشعب الـمـوضــوع فـــإن دراستي هذه ستقصر على عصر ملوك الطوائف وذلك لأن المرحلة الاولى من مراحل سقوط الأندلس بدأت فيه آملاً أن تتاح لي الفرصة مستقبلاً لإكمال رصد تلك الظاهرة حتى نهايتها .
وفي البداية قد يكون من المناسب أن نـبـيـن قـبــل حديثنا عن عوامل سقوط بلاد الأندلس حقيقة تاريخية هامة وهي :
أن سقوط الأندلس بيد العدو النصراني لا يعني سقوط مملكة غرناطة التي كان يحكمها بنو الأحمــر فحسب ؛ بل إن الأمر أعم من ذلك وأشمل ، فسقوط الأندلس بدأ حقيقة في وقت مبكر من تاريخ المسلمين بتلك الديار ، حيث يستطيع الراصد لذلك التاريخ أن يقول : إن بداية الانحسار الإسلامي في الأندلس كان منذ أن سقطت الدولة الأموية هناك ، وبعد أن قام عــلــى أنقاضها العديد من الدويلات الإسلامية المتناحرة المتنازعة التي صورها الشاعر بقوله(5) :
مـمـا يزهـدني في أرض أنـدلـسٍ أســمـاء مـعـتـمـد فـيـها ومـعـتضد
ألقاب مملكة في غير موضعـهــاكالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد
ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة أن مسلمي بلاد الأندلس لم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بعد سقوط الخلافة الأموية هناك بل بقوا متنازعين متناحرين فيما بينهم حتى بدأ الضعف بهم واضحاً نـتـيـجة لتزايد الخطر النصراني ضدهم ، الأمر الذي دفعهم إلى الدخول في سلطان دولة المرابطين ثـم الـمـوحـديـن ، ثم الاعتماد بعد ذلك على المساعدات المرينية بشكل قوي وملموس .
وتـتـأكــد هــــذه الحقيقة إذا تذكرنا أن الخطر النصراني ازداد ضد المسلمين هناك حينما ضعفت مساعدات مسلمي المغرب لإخوانهم مسلمي الأندلس .
وبعد هذه المقدمــــة السريعة - فإنه بوسعنا أن نقول أن سقوط مدينة طليطلة سنة 478 هـ (1085م)(6) كان مـقــدمــــة لسقوط غرناطة سنة 897 هـ(1491م)(7) وأن تراجع مسلمي الأندلس نحو الجنوب منذ الـقــــــرن الخامس كان هو الخطوة الأولى لعبورهم إلى الشمال الأفريقي في آخر القرن التاسع الهجــري ، كما أن غياب أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير والسمح بن مالك وعبد الرحــمـــــــن الغافقي وغيرهم عن الساحة الإسلامية قد أتاح الفرصة لظهور مثل رذريق (القمبيطور) والفونسو الثامن ، والفونسو الحادي عشر ، وفرانده الخامس وغيرهم من زعماء النصارى الذيــــــن تولوا قيادة الجيوش النصرانية التي تولت مهمة حرب استرداد الأندلس كما يسمونها.
وقد أدرك هذه الحقيقة الشاعر الأندلسي المسلم الذي هز وجدانه سقوط طليطلة سنة 478 هـ (1085 م) فعرف أن ذلك له ما بعده حيث قال محذراً إخوانه المسلمين هناك(8) :
حـثـوا رواحلكم يا أهل اندلس فـمـا المـقـام بـهـا إلا من الـغـلط

وأرى سلـكَ الجـزيرة منثوراً من الوَسَطِ السلك يُنثَر من أطـراف‍ـه
مع الحياةُ كيف الحيات في سَقَطِ من جاور الشر لا يأمن عــواقبه
وهكذا نرى أن بداية الانحدار لمسلمي الأندلس كان في عهد ملوك الطوائف ، وأن الضعف الذي حــــل بهم كان ضربة موجعة لم يستطيعوا التخلص من آثارها بعد ذلك بالرغم من التئام شملهم النسبي في عهدي المرابطين والموحدين .
ومما لا شك فيه أن هذا الضعف التدريجي الذي أدى في النهاية إلى خروج المسلمين من تلك الديار ، لم ينشأ من فراغ ، كما لم يكن وليد يومه أو ليلته ، بل إنه كان نتيجة لعدة عـوامـل وأسباب نشأت في ظروف معينة، فلما نمت وترعرعت تمخض عنها ضـعـفـهـــم، وخروجهم من الأندلس ، ويمكن إجمال تلك العوامل والأسباب فيما يلي :
1- انحراف كثير من مسلمي الأندلس عن منهج الله .
2- موالاة العدو النصراني والتخلي عن الجهاد .
3- انعدام الوحدة السياسية بينهم .
4 - تكالب القوى النصرانية ضدهم .
هذه أهم عوامل سقوط بلاد الأندلس،ويعتبر الضعف في الجانب الخلقي عند المسلمين هناك أحد النتائج التي تمخضت عن العامل الأول وقد كان لهذا الضعف أكثر من مظهر وصورة ولعل من أهمها:
* الأنانية وحب الذات .
* التشبه بالعدو وتقليده .
* انتشار المجون والخلاعة بين المسلمين .
ولهذا سـيكون حديثي عن هذا الموضوع من خلال هذه المحاور الثلاثة ، حيث سأبدأ أولاً برصـــــد هذه الظاهرة منذ بداية ظهورها ، ثم انعكاسات ذلك على المجتمع الإسلامي في الأندلس ، وآثارها على القوتين السياسية العسكرية عندهم .

الأنانية وحب الذات

مما لا شــك فيه أن الإيثار والتعاون من أهم سمات المجتمع الإسلامي ، فقد دعا الإسلام إلى هذا الأمـــر وأصله في نفوس المسلمين ، قال تعالى :
((والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَـــــنْ هَاجَرَ إلَيْهِمْ ولا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)) [الحشر 9] .
وقد دخل المسلمون الـفـاتـحـــون الى بلاد الأندلس بهذه الأخلاق الطيبة ، كما تربي أفراد المجتمع الإسلامي هناك على هذا الخلق الإسلامي الأصيل عامتهم وخاصتهم ، ولهذا قال أحد الباحثين : "بقينا في الأنـدلـــس ما بقينا مع الله ، وضاعت الأندلس لما أضعنا طريق الله ، بقينا في الأندلس بهمة عبد

الـرحـمـــــن الداخل الذي قال لما نزل من البحر إلى بر الأندلس وقد قدم إليه خمر ليشرب فأبى وقال : إني محتاج لما يزيد في عقلي لا لما ينقصه ، فعرف الناس من ذلك قدره ، ثم أهديت إليه جارية جميلة فنظر إليها وقال : إن هذه لمن القلب والعين بمكان ، وإن أنا لهوت عنها بمهمتي فيما أطلبه ظلمتها ، وإن لهوت بها عما أطلبه ظلمت مهمتي فلا حاجة لي بها الآن(9) .
وقد سار المسلمون بالأندلس على هذا النهج حتى آخر عمر الدولة الأموية حيث يذكر ابن عذاري أن المنصور بن أبي عامر كان يسهر على مصالح رعيته وكانت متابعته لأمور رعيته تستنفد منه كل وقته لدرجة انه كان لا ينام إلا ســـويـعات قليلة متفرقة فلما قيل له: قد أفرطت في السهر وبدنك يحتاج إلى أكثر من هذا النوم ، أجاب قائلاً : إن الملك لا ينام إلا إذا نامت الرعية ، ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة (10) .
وفي آخر عمر الدولة الأموية ضعف تمسك الناس بكثير من الأخلاق الإسلامية ، فانعكست آثار ذلك على المجتمع الإسلامي فضلاً عن الدولة الأمويـــة الـتــي بــــدأت تظهر عليها علامات الهرم والشيخوخة حينما خف اعتبارها عند الناس ، لأن قادتها فقدوا واحداً من أهم مقومات دولتهم حيث يذكر المؤرخون أنه حينما أعلن سقوط الدولة الأمــوية في قرطبة سنة 422 هـ مشى البريد في الأسواق والأرباض بألا يبقى أحد من بني أمية بقـرطـبـــة ولا يكنفهم أحد من القرطبيين (11) .
وبـعـــد أن قامت دولة ملوك الطوائف على أنقاض الدولة الأموية ازداد الأمر سوءاً حيث تنافس أولـئـــك القوم على السلطة ، وتناحروا من أجلها ، فانتشر بينهم العداء المستحكم والخصام الدائـــــم ، فالكثير منهم لا هم له إلا تحقيق مصلحته الذاتية وإشباع أنانيته ، وتثبيت أقدامه في السـلطة ولو على حساب مصلحة المسلمين ، وكأن الأندلس إنما وجدت له ولمصلحته الذاتية مـهـمـــا كان قصير العمر ، ذليل المكانة مهزوز القواعد(12) ، ولهذا جعل الله بين أولئك الملوك والأمـــــــــراء من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات ، فلم يتعاونوا على بر أو تقوى أو يسعوا لمصلحة إسلامية ، بل انصبت كل جهودهم على توفير ما يخدم مصالحهم الخاصـــة(13) . هكذا كان واقع أولئك القوم، ويـجد الدارس لتاريخهم العديد من الأمثلـة والحــوادث التي تدل على صحة ذلك وعلى أنهــم انشغلوا بأمورهم الخاصة وغفلوا عن الخطر النصراني الذي كان يتهدد هذه الجهة الشمـالـيـــــة من بلادهم ، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما أغار فرناندو ملك ليون على بَطَلْيوس بلاد المظفر بن الأفطس فدمرها ، واستباح حريمها ، وانتهب أموالها ورد خبرها على المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، ولما دخل عليه وزيره أبو المطرف بن مثنى بعد وصول الخبر إليه وجده شديد الإطراق والضيق . وأخذ يفرج عنه معتقداً أن ما أصابه من ضيق كان بسبب ما سمعه مما أصاب المسلمين في

بطليوس ، فلما فهم مقصد ابن مثنى منه أعرض عنه وقال له : ألا ترى هذا الصانع - يعني عريف بنيانه - صبرت له وأغضيت له لكنه لا يمتثل لأمري وينغص علي لذتي ويستخف بإمرتي (14) .

ولما تزايد الخطر النصراني ضد مسلمي الأندلس بعد حادثة بربشتر سنة 456 هـ وجه أبو حفص عمر بن حسن الهوزني(15) رسالة إلى المعتضد ابن عباد (433 - 462 هـ) دعاه فيها إلى الجهاد ، كما بين فيها شدة معاناة المسلمين ، وسبب تزايد الخطر النصراني عليهم ، وأنه لا خلاص للمسلمين من واقعهم المر إلا بالرجوع إلى ميدان الجهاد ومما جاء في تلك الرسالة :

أعباد جل الرزء والقوم هجع عـلـى حالـة من مـثـلها يُـتَـوَقَّـع
فـَلَقِّ كتابي من فراغك ساعه وإن طال فالموصوف للطول موضع

وكتابي عن حـالـة يشيب لشهودها مفرق الوليد ، كما يغير لورودها وجه الصعيد ، بدؤها ينسف الطريف والتليد، ويستأصل الوالد والوليد، تذر النساء أيامى والأطفال يتامى..(16)

هكذا نبه أبو حفص الهوزني ابن عياد إلى الخطر المحدق بالمسلمين هناك ، كما بين له أن الخلاص من ذلك المأزق لا يتم إلا بالتخلي عن الذات ، وجعل الجهاد هو الهاجس الدائم للمسلمين هناك عامتهم وخاصتهم. ويذكر المؤرخون أن موقف ابن عباد من تلك الرسالة كان سيئاً ، فما إن تلقاها حتى أرسل إلى الهوزني يستدعيه للقدوم إلى أشبيلية ، فلما قدم إليه أخذ يسعى للقضاء عليه حتى تمكن من قتله سنة 460 هـ (17) .

وبالإضافة إلى هذه الحادثة فقد ذكر المؤرخون العديد من الأمثلة التي قام بها المعتضد بن عياد من أجل تثبيت قدميه في السلطة حينما يرى أن سلطانه أصبح في خطر حيث تطاول على العديد من القادة والعلماء كما قتل ابنه من أجل هذا الغرض(18) .

وكان ملوك الطوائف يسعون دائماً إلى إيجاد ما يدعمون به ملكهم ويثبت أقدامهم في السلطة ، ومن ذلك بذلهم العطاء الوافر للشعراء والأدباء الذين يقولون قصائدهم في مدحهم ، وقد أسرفوا في هذا الأمر إسرافاً لا مثيل له ، وعلى سبيل المثال فقد منح المعتمد بن عباد الشاعر عبد الجليل بن وهنون ألفين من الدنانير على بيتين من الشعر ، بينما منح المعتصم بن صمادح قرية بأكملها للشاعر أبي الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن مشرف حينما أنشده قصيدته التي مطلعها :

قامت تجر ذيول العَصْبِ والحِبَرِ ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ولما بلغ منها قوله :

لـم يـبـق لـلجـور في أيـامهم أثر إلا الذي في عيون الغيد من حَوَرِ

قال المعتصم : " لقد أعطيتك هذه القرية نظير هذا البيت الواحد ووقع له بها وعزل عنها نظر كل وال"(19).

وقد ذكر عن علي بن مجاهد صاحب دانية أنه "طلب السِّلم وأغمد السيف وكانت همته في خراج يَجْبِيه ومتجرٍ يُنَمِّيه(20) .
وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الأمثلة التي ذكرناها أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت عند ملوك الطوائف حتى أصبحت خلـقـاً مألوفاً لدى الكثير منهم يصعب عليهم التخلص منها أو السعي لغيرها . وهذا بلا شك كان من أكبر معاول الهدم التي أصابت قوة المسلمين في تـلـك الفـترة ، وقد أدرك هذه الحقيقة عــدد من مؤرخي تلك الفترة ، فقال ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس: "دهـرنا هذا قد غربل أهليه أشد غربلة فسفسف أخلاقهم ، وسفه أحلامهم ، وخبث ضمائرهم... فاحتوى عليهم الجهل ، يعللون نفوسهم بالباطل..(21) .
كما عد ابن حزم هذا الانحراف الذي مني به ملوك الطوائف بأنه منزلق خطير ، وظاهرة لها ما بعدها من الآثار السلبية حيث قال : "اللهم إننا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة ديـنـهــــم ، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب ، عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سبباً في انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائنا عليهم عن حاجة ملتهم حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة ، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك"(22) .
وبالإضافة إلى هذا فقد ذكر ابن حزم في موضع آخر أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت في نفوس أولئك الحكام حتى كأن الأندلس إنما خلقت لهم ولتحقيق رغباتهم ، وأنهم يقدمون في هذا السـبـيـل ومن أجل هذا الغرض تنازلات كبيرة حيث قال في ذلك : "والله لو علموا أن في عبادة الـصـلـبـان تـمـشـيـة أمــــورهم بادروا إليها ، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حُرَم المسلمين وأبنائـهــم... وربـمــــا أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس"(23).
وهـكـذا نــرى كـيــف أن الأنـانـيــة وحب الذات عند ملوك الطوائف قد جعلتهم يقدمون التنازلات الكثيرة للنصارى من أجـــــل البقاء في السلطة حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة المسلمين العامة .
"يتبع"

المصادر:

1- المقري ، نفح الطيب 1/240
2- مقدمة ابن خلدون 2/446
3- شوقي أبو خليل ، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص 122
4- عبد الرحمن الحجي ، التاريخ الأندلسي ص 574
5- مقدمة ابن خلدون 2/752، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام 2/144
6- ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ص 85 ، المقري نفح الطيب 1/ 441
7- مؤلف مجهول ، نبذة العمر ص 39-42، المقري ، أزهار الرياض 1/66، نفح الطيب 4/525

8- ابن سعيد ، رايات المبرزين ص 50 ، المقري نفخ الطيب 4/253
9- شوقي أبو خليل ، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ص 122-1231
10- البيان المغرب 2/298
11- ابن بسام ، الذخيرة 3/527، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص 39 1 . ويتأكد لنا أهمية هذا الأمر إذا تذكرنا ما كان للأمويين من اعتبار قوي عند الناس قبيل قيام دولتهم في الأندلس .
12- الحجي ، التاريخ الأندلسي ص 332
13- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام القسم الثاني ص 244
14- ابن بسام ، الذخيرة ق 4 1/147-148
15- وهو أبو حفص عمر بن حسن الهوزني من علماء الأندلس المشهورين ولد سنة 392 هـ ، واهتم بطلب العلم منذ صغره ، وتد تفنن في كثير من العلوم حيث أخذ من كل علم بطرف وافر ، (ابن بشكوال ، الصلة 2 / 402 - 403) .
16- ابن بسام ، الذخيرة ق 2 1/83-86
17-ابن بشكوال ، الصلة 1/204
18- انظر في تفصيلات هذه الحوادث كلا من ابن بسام ، الذخيرة ق 2 جـ 1 ص 147- 150 ، ابن عذارى ، البيان المغرب 3/ 244 -248 ، المراكشي ، المعجب ص 147
19- ابن بسام ، الذخيرة ق جـ 4 1/192 ، بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص 98
20- رجب عبد الحليم ، العلاقات بين الأندلس الاسلامية وإسبانيا النصرانية ص 296
21- ابن بسام ، الذخيرة ق 3 جـ 1/188-189 (نقلاً عن ابن حبان)
22- ابن حزم ، رسائل ابن حزم تحقيق إحسان عباس 3/14
23- رسائل ابن حزم 3/176

مبادرة كارتـــــر:
أسلوب جديد للتنصير

د . حسن علي أحمد

يبدو أن مشاغل جيمي كارتر هـذه الأيــام أكـثـر بمــرات عديدة منها أيام فترته الرئاسية لأمريكا. هذه حقيقة مع فارق بسيط . فمع كثرة المشاغل والمتاعب إلا أنه وزوجته روزالـين يجدان متعة عظيمة فيما يقومان به ، لأنهما - كما يقول - يؤديان ما يؤمنان به وقـد نذر بقية عمره لأجله ، فالتنصير أو ما يسمى تدليساً التبشير هو الهدف الرئيس الذي أنشأ من أجله مركز كارتر في أتلانتا بولاية جورجيا . هذا المركز والذي لاقت أعماله نجاحاً ودعماً كبيراً من

جمعيات التنصير العالمية ، تكون ابتداءً من قسم واحد يعمل من أجل السـلام في العالم!، يتفرع اليوم إلى أقسام عديدة؛ أهمها مركز كارتر للديموقراطية (CCD) ،وشبكة كارتر الدولية للتفاوض (CINN) .
لقد استفاد المنصرون من تـجــاربـهـم والتي عــانت من الفشل مرات كثيرة خاصة في بلاد المسلمين فتغيرت بعض أساليبهم وبشكل ملحوظ خــلال العـقـــد الماضي . فلم يعد التنصير اليوم حكراً على القسس والرهبان بل أصبح المنصر مهندساً أو طبيباً أو قائداً لثوار ورئيساً سابقاً لدولة عظمى داعية للديموقراطية والسلام !؟ ويـدعـي كـارتـر أن شــبـكـة التفاوض الدولية التابعة لمركزه تتابع أكثر من 104 نزاعات في العالم ، صنفت اثنتان وثـلاثون منها على أنها حروب كبيرة بعد أن سقط فيها أكثر من 1000 قتيل . تقع ثمانية مــن هـــــذه الحروب الكبيرة في أفريقيا ؛ القارة الأقرب الى قلب كارتر والتي سعى ويسعى فيها لدعم المسيحيين في القرن الافريقي ، والذين يشكلون أقليات في كل دول المنطقة حتى في أثيوبيا خلافاً لما يعتقده كثيرون.ويعرف من يتابع مجريات الأحداث في شرق أفريقيا والاجتماعات التي عقدت خلال الأعوام الماضية في أتلانتا ونيروبي وأديس أبابا، أن تبني كارتر لجورج قرنق في جنوب السودان وجبهة أسياس أفورقي النصراني في أرتـيـريــــا إنما كان لينفصل الأول عن السودان وتندمج الثانية بشكل نهائي في أثيوبيا كخطوة نحو إيـجــــاد دولة أو كيان يضم كل المسيحيين في القرن الأفريقي ، تحقيقاً لحلم يراود النصارى منذ زمن بعيد ، حيث لم يفتأوا يصرون على أن المنطقة كانت ويجب أن تظل مسيحية.
وضــمــن جهود كارتر المتواصلة للتغلغل في المنطقة ، زار خلال شهر تشرين الثاني الماضي زامبيا للإشراف على سير الانتخابات الرئاسية الأخيرة فيها وذلك في إطار برنامج مركزه للديموقراطية المذكور سالفاً . هناك أطلق كارتر - وفي بعض الدول الأخرى التي زارها - مجموعة من النداءات أراد لها أن تكون مبادرة تستهدف إنهاء النزاعات في القارة وتساهم في حل مشاكلها الصحية والاقتصادية . ونستعرض فيما يلي طرفاً مما قام به في رحلته هذه إضافة إلى مراقبة الانتخابات في زامبيا :
* قضى عطلة نهاية الاسبوع السابقة للانتخابات في محادثات مع طرفي النزاع في ليبيريا ؛ الرئيس الانتقالي آموس سوير ، وقائد المتمردين تشارلس تايلر ؛ في لاغوس ، العاصمة النيجيرية ، حيث التقى بالرئيس إبراهيم بابنجيدا من أجل الجلسة القادمة في سلسلة لقاءات سوير وتايلور والتي تعقد في باموس سكرو تحت إشراف الحكومة النيجيرية من أجل حل سلمي للنزاع الدامي الذي شغل ليبيريا لأكثر من 22 شهراً . وبدا كارتر متعاطفاً مع زعـيـــم المتمردين في تصريحاته التي ذكر فيها أن تايلر أصبح أكثر استعداداً للسلام والديموقراطية(1) . كما تعهد كارتر بمساعدات سيقدمها مركزه

لإقامة انتخابات خلال العام المقبل في حالة حصول اتفاق بين الطرفين وإنهاء تقسيم ليبيريا . وجدير بالذكر أن الجبهة الوطنية الليبيرية قد أثارت فتنة عظيمة في البلاد بقيادة تشارلس تايلر النصراني المتعصب، راح ضحيتها آلاف المسلمين وتعرضت فيها ممتلكاتهم وأراضيهم للنهب والتخريب .

* بالإضافة إلى الإشراف على الانتخابات ، يقدم المركز خدمات أخرى . فقد أعلن ممثل المركز أنه قد تم تنظيم مجموعات محلية هدفها حماية الأطفال وتعليمهم ، وأعلن أن الجهود الأولى ستصرف في حملة تطعيم - ضد أمراض الحصبة والدفتيريا والتيفود والسعال الديكي .

* حرص كارتر على تنظيم لقاءات مع القيادات السياسية والفكرية لتلك الدول ، كان أهمها اللقاء الأكاديمي الذي تم في المعهد النيجيري للشؤون الدولية وذلك ضمن حلقة علمية عن "دور ومشاركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في نشوء النزاعات الأفريقية" . وقد حرص كارتر في ذلك اللقاء على دعوة مجموعة من الأساتذة الأفارقة لزيارة مركزه في أتلانتا لإلقاء المحاضرات فيه عن العلاقات الدولية كما كان حريصاً على طرح بعض النقاط التي تمس الواقع المتخلف لأفريقيا جنوب الصحراء والتي يمكن تلخيصها بالتالي :

1- إن أفريقيا لم تحصل على نصيب مكافئ من الثروة العالمية وأنها لا تزال تعاني من آثار النظم الاستعمارية التي اغتصبت شعوبها وثرواتها . وهذا بالتالي - كما يقول - أدى إلى وقوع أفريقيا في الديون التي ترزح تحتها اليوم .

2- إن أمريكا لا بد أن تفعل كما فعلت أوروبا واليابان في إعفاء أفريقيا من بعض الديون وتخفيض معدلات الربا عليها . كما أن عليها أن تشتري المنتجات الأفريقية - طبيعية وصناعية - بأسعار جيدة يكون من شأنها رفع مقدرة أفريقيا على دفع ديونها .

3- إن سقوط الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة يتيحان لنا فرصة عظيمة للاهتمام بالعالم النامي وقال : "إن النظام العالمي الجديد ليس حقيقة قائمة . وقد يكون فرصة جيدة لكنها لم توجد بعد؟! وقال : إنه يتمنى أن يتجاوز النظام العالمي الجديد كونه مجرد تغيير في التركيز من أوروبا الشرقية إلى الشرق الأوسط وأن يستطيع الوصول إلى أفريقيا المحرومة من حقها الطبيعي تحت الشمس السياسية! وأضاف أن الرؤساء والمسؤولين الأفارقة يقع عليهم عبء الانتاج بمستوى الاقتصاد للقارة وعدم الاعتماد على المساعدات العالمية .

ولا نشك في أن كارتر قد استطاع لمس وجدان سامعيه بمثل هذه الطروحات . لكننا لا نشك أيضاً أن هدفه من وراء ذلك إنما هو محاولة إقناع الأفارقة بأنه مهتم وساع في حل مشاكل القارة على اختلافها ليحتل مكاناً في قلوبهم يمكنه من تنفيذ برامجه في التغلغل في القارة دونما شكوك أو معارضة .

ولا يخفى على كل مـــن عرف كارتر ومراكزه أن التنصير هو غايته الأولى ، وليراجع من شاء تصريحاته وكتبه ومنشورات مركزه .
وحق لنا أن نتساءل، وقـد تـبـاكى كـارتــر على حرمان أفريقيا من حقها ووقوعها ضحية الاستغلال الغربي : لماذا لم يقدم لها كارتــر شــيـئـاً يذكر عندما كان رئيساً لأمريكا وكان بإمكانه أن يفعل الكثير ؟ ففي فترة حكمه لم يزد مجـمــوع المـســاعدات للقارة - جنوب الصحراء - على 250 مليوناً من الدولارات كانت تضيع في أحسن أحوالها - وكارتر يعلم ذلك - بين قلة من الذين يسيطرون على مقاليد الأمور هناك .
لا أحسب أن تاريخ العالم يحفظ أسوأ من صورة مدنية الغرب في مـعـامـلـة الآخرين وإنكار مصالحهم وتجاهل حقوقهم. وهذه السخائم الوبيلة ليست في طبيعة الغرب سجية محدثة، بل كانــت المدنية الغربية ولا تزال تفرض إثمها على أنه شرف ورفعة وتـنـشـــر نزواتها وأهواءها على أنها قوانين عادلة .
وفي بداية الحملات الاستعمارية الحديثة على القارة الأفريقية ، شكلت بعثات التنصير الكنسية طلائع هذا الغزو ، وكانت أداة فعالة في ترسيخ الاستغلال الذي تحدث عنه - مستنكراً - كارتر!. لكن اليوم وقد اختلفت العوامل التي تربط الغرب بمصالحه في أفريقيا فقد تغيرت وسائله وانقـلـبت أولوياته ، وأصبح الاستعمار الجديد والاستغلال الاقتصادي أدوات طيعة موجهة لخدمـة أهداف الكنيسة . هذا ما كتبه النصارى أنفسهم وناقشوه في مؤتمر من أهم مؤتمراتهم في هـــذا القرن اجتمعت له أعداد كبيرة من الهيئات والمنظمات المسيحية التي تستهدف المسلمـيـن في ولاية كولورادو في 15/10/1978م أم واشتهر بعدها بمؤتمر المنصرين . ثم جمعت مادة هذا المؤتمر في كتاب حرره القس دونالد ماكوري تحت عنوان "الإنجيل والإسلام"..
ليس أقصد من وراء هذا السرد إثارة الحسرة والأسى ولا التباكي على واقعنا الذي اعتراه ضـعـــــــف وعجز في نواح كثيرة لكنها ذكرى لعل الدعاة إلى الله يستفيدون من مثل هذه التجارب والأساليب . فمثل هذه الأساليب قدمت خدمات تنصيرية فاقت إلى حد بعيد كل جهود القسس والرهبان والدعوة التقليدية .
إن المسلمـيـن الـيــوم وإن كـانوا في أعقاب فترة كلية ، ولا زالوا ينفضون غبار الذل الذي أصابهم بعد أن طُـــويَ لواءهم ، إلا أنهم يتهيأون - كما يرى كل ذي عينين - لانتفاضة مرموقة بإذن الله ، وهم يستعدون لحمل رسالة الحق من جديد . ولا بد لهم في ذلك من وسائل ناجعة وصالحة ، فإن دعائم الدعوة الموفقة الناجحة تلتقي كلها في الأخذ بكتاب الله -سبحانه- وسنة نبيه -صلى الله عـلـيه وسلم- . نعم إن مستقبلنا في هذه الدنيا ثم مصيرنا يوم المعاد ، كلاهما لا يضمنه إلا هذا المنهج الوثيق .

الهوامش:

1- مجلة "ويست أفريكا" الصادرة في لندن . بتاريخ 14 ديسمبر 1991 م . وقد اعتمدت على ما كتبه مراسلهم من نيجيريا فيما نقلته من أقوال كارتر .

خواطر في الدعوة

في الهدم والبناء

محمد العبدة

إن المتتبع لكل الجهود التي بذلها الـمـسـلـمون خلال القرن الماضي فيما سمي بـ (النهضة) سيلاحظ شيئاً عجيباً ، فهذه الجهود لم تكـن تراكـمـيـة يستفيد فيها اللاحق من السابق ، وينظر في أمرها فيأخذ ما صح منها ويبني عليه ، ثم يأتي من بعده ويتم البناء ، ولكنها في الـغـــالب كانت تبدأ من الصفر فتخطىء وتصيب وتجرب مرات ومرات ، وفي العادة تكون البدايات شاقة وتحتاج الى طاقات كثيرة .

وسبب هـــذه الـطــريقـــة في التفكير والعمل - والله أعلم - أننا لم نتعود بعد على العمل المؤسـسـي الـذي يـقـــوم بالدراسات الدقيقة لكل عمل سبق وتقويمه تقويماً منصفاً حيادياً، ودراسة كل فكر تقدم، وكل تجربة لداعية أو عالم أو هيئة، ومـــــا هي الانجازات التي تحققت أو الفشل الذي وقع . كما أننا لم نتعود على الإنصاف في تقـدير جهود الآخرين ، خاصة إذا كان يخالفنا ولو في شيء يسير ، وثالث الأسباب أننا نحمل في داخلنا موروثات مذمومة من الحسد والشنآن فلا نذكر محامد أحد ، بل إننا أقرب إلى حـــب التحطيم كما يفعل الأطفال بألعابهم .

كـتـب خـيــر الـديـن التونسي قبل أكثر من قرن محذراً من الطوفان القادم (الغرب) إن لم يتدارك الأمر بالمؤسسات والبعد عن الاستبداد في الأمة وما يجر من ويلات ، وعلى الرغم مما عندنا من ملاحـظــات على التونسي والكواكبي ، وما في فكرهما من ثغرات وتشوش ، فإن ما طرحاه في هذا الموضوع كان صحيحاً .

ولا يزال بين المسلمين من يقول بعدم إلزامية الشورى . ثم جاء الشيخ رشيد رضا وكتب في (المنار) مقالات قوية عن شؤون العمران والسنن الربانية في قوة الأمم ورقيها وأسباب ضعفها . واقترح تأسيس الجمعيات والمدارس التي تساهم في هذا الرقي وأظن أننا لم نستفد كثيراً مما كتب ، وهكذا تكررت هذه الظاهرة ، فقد قام الشيخ ابن باديس بتجربة قوية ناجحة في جمع علماء الجزائر فـي جمـعـيـة واحدة ، وكان أثرها قوياً واضحاً في نهضة الجزائر، والآن نـــــرى أكثر العلماء والدعاة متفرقين مع الأسف ، وكتب مالك بن نبي عن المشكلة الحضاريـــــــة وأن البدء يكون بتغيير ما بالأنفس ، وكتب عن

مشكلة الأشخاص والشيئية القادمة من عـصــور الانحطاط ، ولكن المشكلة لا تزال قائمة وجاء سيد قطب فكتب فصولاً جيدة عن القاعدة الصلبة وكيف تتكون .
وليست المشكلة فـقـط أنـنـــا لا نستفيد من صواب كل واحد منهم بل إن بعضنا ينقض ما عندهم من إيجابيات ويقلل من شأنها ، ويستهين بها . وهم في ذلك ((كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً)) [النحل 92] .
ولا ندري إلى متى نستمر في البناء والهدم والحزبية وقلة الإنصاف، والـنـزعـــة الأنـانـيـة الضيقة . والله وحده المستعان على هذه الحال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قراءة في مجلة المنار

عبد القادر حامد

كان الهم الشاغل لرشيد رضا حين أخرج مجلته هو الفجوة العلمية الضخمة بين الغرب من جهة وبين العالم الإسلامي من جهة أخرى، لهـذا فـإنـه حـض أولاً عـلـى نـبـذ الـكـسـل والتهاون والضعف والاتكالية ، واعتبر التربية والتعليم الوسيلة المثلى التي يمكن أن تردم هذه الفجوة أو تقلل منها على الأقل .
وهـو مـــدرك صعوبة ما هو مقبل عليه، ويـضـــع في حسابه أن يصطدم مشروعه الإصلاحي برغبات كثيرة من أصحاب النفوذ ، ولهذا فـهـــو يحاول أن يقتصر على الممكن ، ويتجنب التورط في ما يثير هؤلاء عليه ، ويحدد في عـبـارات تطمينية أهدافه حتى لا تذهب الظنون في تفسير خطته كل مذهب، فيقول: " وغرضها الأول (أي المنار) الحث على تربية البنات والـبـنـيـن، لا الـحـــط فـي الأمراء والسلاطين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقـانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والـتـنـشـيـط عـلـى مجـــاراة الأمم الـمـتـمـدنة في الأعمـال النافعة ، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد ، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها ، والتعاليم الخادعة التي لبَّست الغي بالرشاد، والـتـأويـلات الـبـاطـلـــة التي شبهت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر توحيداً، وإنكار الأسباب إيماناً، وترك الأعمال المفيدة توكلاً، ومعرفة الحقائق كفراً وإلحاداً، وإيذاء المخالف في المذهب ديناً ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً، والذلة والمهانة تواضعاً، والخنوع للذل والاستبسال للضيم رضى وتسليماً ، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإيماناً "(1) .

لكن على الرغم من هذه الاحتراسات الكثيرة التي أراد رشيد رضا أن تكون سوراً يدفع عن أفـكـــاره المـخــاطر ؛ فإنه اصطدم بما كان متوقعاً ، وسيبدو لنا في المستقبل أمثلة من هذه الوقائع .

وقد يكون ظن في أول الأمر أنه سيترك وشأنه - وقد اختار الطريق الذي يبدو الأبعد، وهو طريق التربية والتعليم - ولعله رأى أن اختياره هذا الطريق سوف يقيه عواقب الاصطدام بالرغبات القريبة التي ترى في كل دعوة تجديدية تهديداً لمصالحها ونذير شؤم عليها ، ولأن هذا الطريق هو الذي يبقى أثره بعده ضاربة جذوره في الأرض ، لا يستطيع أحد أن يقضي عليه قضاء كاملاً . وهذا صحيح ، فأي دعوة تهمل هذا الجانب مهددة بالانقراض بل والارتداد عليها .

وأمامنا مثالان لذلك :

الفتح الإسلامي الأول بعد عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- .

والفتوحات التي قام بها العثمانيون في أوربا وغيرها .

ففي الفتح الإسلامي الأول كان تجييش الجيوش وتوجيهها في حركة الفتح ليس هدفاً بنفسه ، بل وسيلة إلى غاية أسمى وهي نشر الإسلام والدعوة إليه عن طريق تشجيع العلم والعلماء ، وبيان أن الإسلام جاء إنقاذاً للبشرية من الظلم الاجتماعي وجور السلطات المهيمنة ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، ونشر الصحابة وتلاميذهم العلم بين طبقات هذه الشعوب ، وتحولت أعداد هائلة من أبناء هذه الشعوب الداخلة في الإسلام إلى دعاة ومدافعين عن الدعوة الجديدة وقرآنها ولغتها ، وبرزت أسماء يصعب حصرها ممن تلقوا هذا العلم الأصيل ، وحملوه في الآفاق ، ونفعوا به شعوبهم وغير شعوبهم ، وكانوا يتحركون من مكان إلى مكان لا يقف في وجههم عائق ، ولا تحجزهم حواجز ، بل إن من تقاليدهم التي رسخت أنهم كانوا يجعلون الرحلة في طلب العلم وسيلة للتقويم والمكانة ، فبقدر عدد البلاد التي يطوف فيها الشخص تكون قيمته العلمية ، وبقدر اختلاطه بعلماء الأمصار تزداد الثقة به والحاجة إليه . وهذا حق .

أما الفتوحات التي قام بها العثمانيون ، فقد اكتفوا بالإخضاع ، وجباية الجزية ، وتركوا أهل البلاد يديرون شؤونهم بأنفسهم ، وكانت الهوة سحيقة بين السلاطين وبين رعاياهم ، ولم يلتفت إلى أهمية أن تُعَدّ لهم جيوش من الدعاة والعلماء يكملون ما قامت به الجيوش ، وتركت هذه الشعوب على ما هي عليه من أفكار وأحوال ، واقتصر أمر الدعوة ونشر العلم على المبادرات الفردية ، وما كان أضعفها في تلك الفترة ، وأقل كفايتها وغناءها! حيث تأذنت حكمة الله أن لا ينبغ من بين سلاطين آل عثمان رجل يتبنى اللغة العربية لغة رسمية للسلطنة على كافة المستويات ، فتركت هذه الميزة للغة التركية - وهي من أشد اللغات فقراً وأظهرها ضعفاً - حتى إذا ضعفت قبضة الدولة على هذه المقاطعات المفتوحة ، برزت الكراهية العرقية والدينية التي لم

يهذبها علم ولم يقاومها فكر ، تغذيها وتمدها دول أوربا الطامعة المتربصة .
ولم ينفع العثمانيين آنذاك تسامحهم ولا إبقاؤهم على عقيدة البلاد المفتوحة ، والسماح لأولئك بإدارة شؤونهم الدينية دون تدخل أو معارضة ؛ بل انقلب هذا التسامح وهذه السياسة التي اتبعت أداة بيد هذه الشعوب للتخلص من الحكم العثماني ؛ بل لتقويض بناء هذه الدولة ، ولم يبق في ذاكرة هذه الشعوب إلا صورة الكرباج التركي وظل التركي القاسي الغليظ الذي عمموه - في فترة من الفترات على الأقل - على كل معتنق للإسلام (2) .

إصلاح العقائد والعوائد :

إذا كان رشيد رضا قد اعتقد أنه بإعلانه تحاشى أولي السطوة وعدم استثارتهم قد ضمن سكوتهم عنه ؛ فإنه لم يكن متحرزاً من فتح حلبة صراع لا تقل عن الأولى التي يحاول بحكمته تجنبها ، وهي حلبة إصلاح عقيدة الأمة والعادات التي تراكمت عبر القرون واختلط صحيحها بفاسدها ، وهذا ما يشير إليه قوله :
"الدخائل التي مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها" . فَمَن هي الجهة التي ستقف في وجه التجديد ؟! إنها بلا شك خليط من صنفين من الناس :
أ- صنف ذكي يستثمر الجهل والغفلة ، ويحب أن يبقي كل أمر على ما هو عليه ، لأنه يشك في كل حركة وكل دعوة ، ويرى في ذلك تهديداً لمصلحته الآنية ، فيحارب كل ما يشك فيه ، ويستنفر العامة بنفاقه وكذبه ويدخل في عداد هذا الصنف الخبيث القصد أصحاب النظر القصير - ممن لا يقدرون على النظر إلا في مواطن أقدامهم ، ويستغلهم ذلك الصنف الذكي بوسائله الجهنمية الترهيب والترغيب ، وقد يكون من هؤلاء أسماء طنانة وأصحاب ألقاب سيّارة .
ب - والصنف الثاني : العامة والدهماء ، ممن يصدق بسرعة ودون روية وتفكير دعاوى الصنف الأول المتنوعة ، وتهاويلهم البرّاقة ، فيكونون ردءاً لهم وعوناً على تعطيل كل نية تهدف إلى تخليصهم من براثن الطغاة والمشعوذين . وهكذا يستمرون ضحية الجهل وعدم القدرة على التفكير من جهة ؛ والاستغلال والتلاعب من جهة أخرى .
لقد ورث المسلمون - زيادة على ضعفهم السياسي والاقتصادي - ضعفاً اجتماعياً مخيفاً ، لا يجاوز الحقيقة من ادعى أنه أدهى وأمر من الضعفين الأولين ، بل هو السبب الرئيسي والمباشر لذينك الضعفين اللذين هما عرض ظاهر لذلك الجوهر الذي لا يبدو إلا للقليل من الناس ، وإن بدا ؛ فلا يقدر على تحليل عناصره وإرجاعها إلى مفرداتها البسيطة إلا القلة من هذا القليل .

وأشد مظاهر هذا الضعف الاجتماعي خطراً ما ارتبط منه بالعقائد ، والتصق "بالوجدان الجمعي" للأمة ، حيث تصبح معالجة هذا الضعف تصدياً لا إلى حالة فردية ؛ بل إلى قوة اجتماعية انصهرت فيها ألوان من القوى والمقاوِمات .
وبسبب ما توالى على المسلمين من أحداث ضخام ، وما تعاورهم من ظروف تحمل إليهم كل يوم جديداً من التسلط والطغيان ، وتسقط فوق رؤوسهم كل ساعة ما لا يتوقعون من حيل شيطانية يمهر بتزيينها المتغلبون وأعوانهم ؛.. . كل ذلك وغيره أثر في حيويتهم ، وترك في تقويمهم للأمور خرماً يصعب رتْقُه ، حيث سحبوا على هذه الإرادات الطاغوتية ظلاً من إرادة الله ، والتبست عليهم أقدار الخالق بأقدار المخلوق ، وصار بهم الأمر إلى حالة سكونية ترضى بالقليل ، وتستنيم إلى اللحظة الحاضرة وأصبح لسان حالهم يقول :

وما في سَطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذِلّةِ العُبدان عار!

لـقـد رأى رشـيـد رضـا أن العقائد عندما تفسد يفسد المجتمع ، وعندما تتحول العادات المرذولة إلى ما يشبه العقـائد فإنها تهدم الكيان البشري للفرد ، كما تهدم المجتمع . وهنا يظهر لنا أن رشيد رضا لا يبتعد عن الحديث عن السلطة إلا يجد نفسه وجهاً لوجه معها، وهو - واعياً أو مضطراً - "يرد الصدر على العَجُز" ويفر من جبروت السلطة والتعرض لها لعله يضمن حيادها وسكوتـهـا عن مشروعه الإصلاحي ؛ ليؤلب عليه طبقات اجتماعية لا تـتـورع عـن الاسـتـظـهار بالسلطة للقضاء على خصومها وإسكاتهم وتعطيل ما يرمون إليه، فتجتمع عليه قوتان، ويـواجـــه ما فر منه وما فرَّ إليه! وهذه هي مأساة المصلحين في كل عصر، وهذا هو التحدي الذي ينتظرهم.
إن بقــاء شعب أو شعوب تحت نير الاستبداد الدائم يقلل فيه من عناصر الخير والفضيلة، ويعدم الثقة المتبادلة بين أفراده، ويـجـعـلـــه يعبد القوة ليعوض عن ضعفه المتأصل بالنفاق والتملق للأقوياء ، ويصبح اتكالياً يطلب من الحكومة أن تعمل له كل شيء، مـــع أنــه لا يحبها ولا يثق بها ، ويتهرب من رقابتها ما استطاع ، وباختصار: إن الاستبداد نوع مــن الـســرطـان فـريـد، قـد لا يميت الإنسان، بل يبقيه حياً يتنفس، ولكن بإنسانية مفقودة، وشخصية مشوهة ، وأخلاق مرذولة .

الهوامش :

1- فاتحة العدد الأول
2- هذا الكلام هو تقرير لحقيقة ، ولا نغفل عن الدور الإيجابي الذي قام به العثمانيون ، ودوافعنا على كل حال تختلف عن دوافع القوميين العلمانيين .

البيان الأدبي

مختـــارات

وصية أبي حازم للزهري

تمهيد :

سبب اختيارنا لهذه الوصية أنها أثـر ثـمـين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومثال للأدب العالي الذي يتجاهله دارسو الأدب الـعـربي في هذه الأيام ، ونموذج فريد من "أدب الرسائل" بين العلماء يصلنا من وقت مبكر ، من أوائل القرن الثاني الهجري ، وكذلك فإن الـقـــوة في الألفاظ والمعاني مع السهولة والصدق الذي يميز هذه الوصية يجعلها بحق "أثراً ثمينا" يسرنا تقديمه لقرائنا الكرام .

ولا يخـطـــــرنّ على البال أننا نريد أن نحطب بحبل الذين يتحاملون على الأئمة بمجرد عثورهم على مـثــل هذا النص ، فهذا من نقد الأقران الذي لا يسقط العدالة . ولا يحط من قدر العالم أن ينتقد، كما لا يعتبر مجرد قرب العالم من السلطان جرحاً فيه، بل إن ابتعاد أو إبعاد طبقة العلماء عن الحكام فيه ضرر كبير وشر مستطير يلحق بالمـجـتـمـــع، ويخلي الساحة للجهلة والمفسدين أن يتصرفوا بشؤون الناس كيفما يشاؤون، ومن راجع كتب الفقه في باب القضاء وحكم توليه وجد تفصيلاً شافياً يتعلق بهذه المسألة(1) ، وإن مما تدل عليه هذه الرسالة الحرية الفكرية بين علماء السلف ، فهذه الحرية هي التي تجعل واحداً مثل أبي حازم - وهو أصغر من الزهري ومن تلاميذه - ينصحه بهذه النصيحة القوية ، ويبين له وجهة نظره بجلاء لا غموض فيه ، وبعيداً عن المجاملات التي لا تـنـفــع الأخـــــوة الصادقة ، وتكون الدعوة بعد ذلك من ضحاياها .

لا نريد الإكثار من الكلام حول هذا النص ، بل إن هذا القليل اضطررنا إليه اضطراراً،وكم وددنا لو أخلينا بين القارئ وبين هذه الرسالة دون توسُّط .

أبو حازم:

سـلـمة بن دينار ، الأعرج ، مولى لقوم من بني ليث بن بكر ، روى عن ابن عمر ، وسهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وقيل إنه رأى أبا هريرة ، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب، وأبي سلمة ، وعروة بن الزبير وغيرهم . وهو ثقة عند عامة المحدثين . توفي سنة 144 في خلافة المنصور .

الزهري:

أبو بكر ، محمد بـن مسلم بن عبيد بن عبد الله بن شهاب الزهري ، تابعي سمع من أنس وسهل بـن سعـــد والسائب بن يزيد وغيرهم من الصحابة . ورأى ابن عمر وسمع من كبار التابعين وأئمتهم ، قـــال فيه عمرو بن دينار: "ما رأيت أنصَّ للحديث من الزهري ، وما رأيت أحداً الدينار والـدرهـم أهون عنده منه" . وقال فيه الليث بن سعد : "ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علماً منه" . وقال أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه: "أصح الأسانيد مطلقاً: الزهري عن سالم عن أبيه". وقال الشافعي: "لـولا الـزهـري

لذهبت السنن من المدينة" . قال النووي : "ومناقبه والثناء عليه أكثر من أن تحصر"
وتوفي في شهر رمضان سنة 124 هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

النص

عافانا الله وإياك - أبا بكر - من الفتن ، ورحـمـك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك ، بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وعلمت حُجج الله تعالى مما حملك من كتابه ، وفقَّهك فيه من دينه ، وفهمك من سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك ، وكل حجة يحتج بها عليك . وقد قال تعالى : ((لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِن كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)) .
انظر.. . أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل ، فسألك عن نعمة الله عليك ؛ كيف رعيتها ، وعن حججه عليك : كيف قضيتها ، ولا تحسبَّن الله راضياً منك بالتعذير ، ولا قابلاً منك التقصير ، هيهات ليس كذلك !
أخذ على العلماء في كتابه إذ قال : ((لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ ورَاءَ ظُهُورِهِمْ)) .
إنك تقول إنك جدل ، ماهر ، عالم ، قد جادلت الناس فجدلتهم (2) ، وخاصمتهم فخصمتهم (3) ، إدلالاً منك بفهمك ، واقتداراً منك برأيك ؛ فأين تذهب عن قول الله عز وجلّ : ((هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ)) ؟!
اعلم أن أدنى ما ارتكبت ، وأعظم ما احتقبت (4) ؛ أن آنست الظالم ، وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت ، وإجابتك حين دعيت ، فما أخلقك أن ينوه باسمك غداً مع الجرمة(5) ، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة . إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ، ودنوت ممن لا يرد على أحد حقاً ، ولا ترك باطلاً حين أدناك ، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك .
جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم ، وسلماً إلى ضلالتهم ، وداعياً إلى غيهم ، سالكاً سبيلهم ، يدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم يبلغ أخص وزرائهم ؛ ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم . واختلاف الخاصة والعامة إليهم ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك ! وما أقل ما أعطوك بكثير ما أخذوا منك ! فانظر لنفسك ؛ فإنه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .
وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً ، وانظر كيف إعظامك . أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلاً ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً ، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً.

ما لك لا تَتنَبَّهُ من نعستك ، وتستقيلُ من عثرتك ، فتقول : والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ، ولا أميت له فيه باطلاً (6)! أين شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه؟!
ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم : ((فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ورِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى...)) ؟!
إنك لست في دار مقام ، قد أوذنت بالرحيل ، ما بقاء المرء بعد أقرانه ؟
طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل ، ويا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده!
إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، وليس أحد أهلاً أن تردفه على ظهرك . ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره، احذر فقد أتيت ، وتخلص فقد أدهيت!! إنك تعامل من لا يجهل ، والذي يحفظ عليك لا يغفل .
تجهز ؛ فقد دنا منك سفر بعيد ، وداو دينك فقد دخله سقم شديد ، ولا تحسبن أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك ، ولكني أردت أن تنعش(7) ما فات من رأيك ، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك ، وذكرت قوله تعالى: ((وذَكِّرْ فَإنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِينَ)).
أغفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك ، وبقيت بعدهم كقرن أعضب (8) ، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به ، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟! وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه، أو علمك علما جهلوه، بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة،وكلفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن أحللت أحلوا . وإن حزمت حرموا. وليس ذلك عندك، ولكن إكبابهم عليك، ورغبتهم فيما في يديك ، ذهاب عملهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة ، وطلب الدنيا منك ومنهم .
أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟! وابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم ، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك ، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت ، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت ، فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره ، وفي بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولك ولهم المستعان .
واعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه، الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم ، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة"(9) .
فهؤلاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم : ((أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ)).

وجاه يجريه الله تعالى على يدي أعدائه لأوليائه ، وَمِقة(10) يقذفها الله في قلوبهم لهم ، فيعظمهم الناس بتعظيم أوشك لهم، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم: ((أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ)) .
وما أخوفني أن تكون ممن ينظر لـمــن عاش مستوراً عليه في دينه، مقتوراً عليه في رزقه، معزولة عنه البلايا ، مصروفةً عنه الفتن في عنفوان شبابه وظهور جلده ، وكمال شهوته . فعني بذلك دهره، حـتـى إذا كـبـر ســنـه، ورق عظمه، وضعفت قوته، وانقطعت شهوته ولذته؛ فـتـحـت عـلـيــه الدنيا شر فتوح؛ فلزمته تبعتها وعلقته فتنتها، وأعشت عينيه زهرتها، وصفت لغيره منفعتها .
فسبحان الله ما أبين هذا الغبن ، وأخسر هذا الأمر ، فهلا إذا عرضت لك فتنتها ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه في كتابه إلى سعد... حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه عندما فتح الله على سعد :
"أما بعد،فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب ، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتنوا بها، رغبوا فطلبوا ، فما لبثوا أن لحقوا" .
فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ، ورسوخ علمك ، وحضور أجلك ؛ فمن يلوم الحدث في سنه ، الجاهل في علمه ، المأفون في رأيه ، المدخول في عقله؟ "إنا لله وإنا إليه راجعون"! على من المعول ، وعند من المستعتب؟!
نحتسب عند الله مصيبتنا ، وما نرى منك . ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

الهوامش :

1-لمزيد معرفة بشخصية الإمام الزهري ومكانته يراجع ما كتبه لشيخ مصطفى السباعي -رحمه الله- في كتابه القيم : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص 206-226
2- غلبتهم في المجادلة
3- غلبتهم في المخاصمة
4- حملت في حقيبتك
5- الجرمة : ج جارم مثل : كاتب وكتبة ، أي المذنبون .
6- هذه مبالغة من أبي حازم اقتضتها الشدة في الموعظة ، وإلا فإن حياة الزهري كانت في سبيل إحياء الدين وإماتة الباطل ، كما تنبئ بذلك أقوال علماء الجرح والتعديل .
7- تتدارك

8- القرن الأعضب : القرن في رأس الدابة انكسر أخوه وبقي منفرداً .
9- جزء من حديث في الترغيب والترهيب 4/154 باب : الترغيب في الفقر وقلة ذات اليد . قال المنذري رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح ولا علة له .
ولم نجده في صحيح سنن ابن ماجه للالباني .
وفي صحيح مسلم ط عبد الباقي ص 2277 عن سعد ابن أبي وقاص أنه قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : "ان الله يحب العبد التقي ، الغني ، الخفي" . - التحرير -
10- مقة : محبّة

شعر

أننسى؟ أننسى.. ؟

شعر: محمود مفلح

إذا كانت جراحُ الـنـاس تـغـفـو   فــإنَّ جراحَـنــا أبــداً تـفـــور
وإن كانت هــمــومــهــمُ رَمـــاداً   فإن همومـَنـا الـصـغــرى سَعير
أيـحـكـم فـي قـضـيـتـنـا عـــدوٌّ   ويُرشدنا لغايـتـنــا ضــريـــر !؟
ونـبـقـى فـي الـحـيـاة بلا لسانٍ   وقد نطقتْ بحاجتها الحمير!!
نـدور كـمـا يـقـول الـقـوم دوراً   وإن رغـبوا الثباتَ فــــلا ندور
ومِـنّـا مـن يـرى في الخيش خزاً   ومــنّا مَن يضايقهُ الــحــريـر!!
ويـبـحـث بـعـضُـنا عن كأس ماءٍ   وتُغرق بعضَ سادتنا الـخـمورُ ؟
كـأن الـنــائـبــات لـنـا فـــراشٌ   وأنَّ الـــعــاديـاتِ لـنـا دُثـــور
ومـا زالـت تُـؤرّقـــنـا ســفـــــوحٌ   لها في كــل جــارحــةٍ حـُضـور
أنـنـســى فى دروب الـقـدس ليلى   وليلى تستـغـيثُ وتـسـتـجــيـر؟
أنـنـسـى أعـيـن الـلـيـمـون تـرنـو   وأعشاشاً تحـن لـهــا الـطـيــور
أنـنـسـى مـسـجـداً ونـداءَ فـجـرٍ   ومحراباً وهـل تُـنـسى الجذورُ ؟
لـئـن مِـتـنـا فـإنَّ لــنـا قـبـــوراً   ستحكي كـــلَّ قـصـتـنــا القبور
رجــالاً أصـبــح الاطـفـال فـيـنـا   وفي أرض الصـــدام لـهـم زئـيـر
كـأنـهـم مـن الـصّـــوان قـــــدّوا   ومن بُـــركـانـه هــذا الــزفـيـرُ
فـــلا تـعـجـبْ وليس لهم رصاص   إذا وقــعـت على الموتِ الـصـدور
نـعـم ثـاروا وعـدتــهــم حـــجـارٌ   ونحن القاعـــدون مـتـى نـثـور!؟
نـعـم ثـاروا وكـلـهــمُ جـــيــــاعٌ   ونحن المتـخـمـيـن متى نـثـور!؟
دمـاؤهـم عـلـى الـطـرقـات مسكٌ   ويمضي للعبير بـك الـعـبـيــــرُ
قـبـلـنـا بـالـحـلـول وأنـكـروهـا   وقالوا: إنــه العـار الــكـبـيـــر
وقـبـلّـنـا الأكـفَّ لــقـــاء ســلـمٍ   حقيرٌ ســاقـــه الــزمـــنُ الحقيــر

وضيّعنا الأمانة والأماني   فلا زحفٌ هناك ولا عبور
وماذا يحكم الشهداء فينا   غداة غدٍ إذا انتفضت قبورُ؟!
دماءٌ قد نسيناها ليبقى   لنا شاةٌ همام أو وزير
ولكنَّ الرجال هناك قالوا   ألا كُفّوا فقد فُطم الصغير
فَنبتُ القدس ليس له نظيرٌ   وحاشا أن يكون له نظير
بماء الذكر يُسقى كل يوم   وفي أحضانه تنمو البذور

شعر

من كابل.. إلى القدس

د. محمد بن ظافر الشهري

دهى الوسواسُ بالُملكِ الكلابا   وأوهَمَهَا بأنَّ لها جَنَابا
وقيل له فَلَمْ تسمع لقولٌ   يُحَذِّرها ولم تَقْبل عتابا
فأسْلَمَها الغرورُ لِبطشِ ليثٍ   يُحَكِّم مخْلبا فيها ونابا
رويدا يا عُلُوجَ الروسِ حتى   نُوَفِّيكم من القتل النِّصابا
لَئِنْ سُمنا جَحَافِلكُم عذاباً   فإنّ إلهَنَا أقسى عِقابا
سَلَلْتُم سَيْفَ هَيبتِكُم علينا   فَصَيَّرْنَا لَهُ الَحدْبا جِرَابا
بنو الإسلام لا يَخْشَون خَلْقاً   فَربُّ الخلقِ أولى أنْ يُهَابا
وإن قُلْتُم تَقَاتَلْنا سِجَالاً   فكيفَ تَكُونُ دَعْواكُم صوابا
أيستويانِ من بالموتِ يحيا   ومن يَصْلَى لدى الموتِ العَذَابا
أيستويان مَن في الأرضِ يَسْعى بإصلاحِ   ومن يسعى خرابا
وأشْعَلْتُم فَتِلَ الحربِ كَيْما   تُخِيُفونا فَزِدنَاهُ التِهَابا
ألا إنّا نَشُمُّ إذا غُزِينْا   لنارِ الحرْبِ عَرْفاً مستطابا
هي الإكْسِرُ إنْ دارت رَحَاها   يعودُ كُهُولُنا فيها شبابا
أأنْسَتْكُمْ كؤوسُ الخمرِ أنّا   بنو من وَحَّد الدّنيا غِلابا
ومن لم يسألِ التاريخَ عنّا   فنحنُ نُريه في الهَيْجا جوابا
نُسِلُ دَماءه وَعْداً علينا   ونجعلُها لأفرُسِنا خِضَابا
ألا مهلاً بني الِخنْزيرِ مَهْلاً   فإنَّ لنا بذمَّتكُمْ حِسابا
وما مِن ذِمةٍ فيكمْ فأنتمْ   قُرودٌ ألبِسَتْ زوراً ثيابا
تطاولتمْ على الأطفالِ حتى   تموت الأمُّ قهراً وانتحابا
وكم بطنٍ بَقَرْتُمْ للحبالى   فاخجلتمْ بذا الفعلِ الذئابا
ألا هبُّوا للُقْيَانا فإنّا   تُجاه القدسِ أطلقنا الرِّكابا
نُذكِّركمْ بأيامٍ خوالٍ   إذا ذُكِرَت تموتونَ ارتعابا
بها سُقنا إناثكمُ إماءاً   وألْحَفنا ذُكوركمُ الترابا
خُذُوا من نكبةِ الروسيِّ دَرساً   شَكَى ضيقاً فَزدْناهُ اكتئابا

أتـــــى دُبـــــّاً يُـزمــجـــرُ فَانبَرَيْـنَا لهُ حتى طـرَدْنـاهُ ذُبــابـا
ألا لا تـهـربـوا مـنـا فـإنّـا سَنُدْرِكُكُم وإنْ تـعْـلـوا السحابا
فـإنّ سـيُـوفَـنـا ظـمـأى جياعٌ تُحِبُّ الهامَ مـنـكـمْ والـرقـابـا
سَـيُـؤْتِـي اللـهُ أنـفُـسـنـا يَقِيناً وأنْفُسَكُمْ شُكـوكـاً واضـطـرابـا
فـرُبَّ الـنـاسِ غـضْبـانٌ عليكمْ ونُحنُ لرَبِّنا جِـئـنـا غِـضَـابـا

المسلمون والعالم

باسم الحرية ينحرون الحرية

يوماً بعد يوم تكتشف البشرية أن تقدمها المادي في جميع العلوم النظرية والتطبيقية: في الطب والهندسة ، في الكمبيوتر والالكترونيات، في علم الذرة والمفاعلات النووية ، كل هذا لم يقدم لها السعادة المطلوبة ، ولم يشفها من شقائها وأمراضها . لقد أنتج ما كان يسمى الاتحاد السوفييتي أكبر عدد من العلماء والمهندسين في علم الفضاء والعلوم النووية ، ولكنه سجل أكبر إخفاق سياسي - إنساني في هذا العصر ، وفي مقابل هذا التقدم العلمي الهائل في الطب الوراثي وفي علم (الجينات) الذي وصل إلى أن (تدر الأبقار حليباً يحتوي على عقاقير صالحة لشفاء الأمراض البشرية) ومع هذا نرى الفقر والتمزق يلفان معظم ما يسمونه العالم الثالث أو الرابع... كما نرى التسلط الذي تمارسه الدول الصناعية الكبرى نحو بقية دول العالم ومحاولة احتكار واحتجان الأموال بأيدي طبقة معينة وشعوب معينة ، حتى تبقى على حالة من الرفاهية والازدهار لا تريد التنازل عنها .

إن الانفصام بين الدين والحياة بلغ مدى ربما لم يتوقعه أو يريده الذين دعوا إليه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هذا الانقطاع والقطيعة بين العقل والقلب لم يؤد إلا للدمار النفسي والاجتماعي . ولذلك بدأت قطاعات كبيرة من البشرية في العودة إلى الدين - أي دين - إلى الإيمان بقوة غيبية ، يعودون إلى الدين ولو كان ديناً ملفقاً غير صحيح، ففي الغرب وفي أمريكا بالذات نجد عودة إلى البروتستانتية ، وفي أمريكا الجنوبية عودة إلى الكاثوليكية، وفي الصين والهند عودة إلى البوذية ، وهذا مؤشر على أن التدين والإيمان بالغيب نظرة أصيلة في الإنسان ، وأن ما حاوله الملحدون والمستهزئون بالأديان من الابتعاد عن قوة مؤثرة في حياة الإنسان، وأن الإنسان يقوم وحده؛ كل هذا لم يمنع من بحث الإنسان عن شيء يفقده..

لقد رجع الملايين من المسلمين إلى دينهم في مناطق المسلمين التي احتلها الروس زمناً طويلاً، وذاق أهلها المر والعلقم من هذا الاحتلال،

وتـنـفــس الـمـسـلـمـون في أوربا الشرقية الصعداء ، وبدأت رحلة العودة . وهناك مناطق في البلاد العربية لم يصـلها دعاة ولا علماء وتفاجأ الدولة بالشباب المتدين بالمئات والألوف . كيف وقع هذا؟
إنـهــــا العودة إلى الدين بعد هذا الجفاء والجفاف ، بعد رحلة الضنك والعذاب في مسيرة القومية والاشتراكية والعلمانية ، إلى آخر الشعارات الفارغة من أي مضمون حقيقي ، بعد رحلة العــــذاب مــع الأنظمة التي احتقرت الشعوب واحتقرت حقوق الإنسان ، وأقامت نفسها آلهة لشعوبها ، وعبيداً أذلاء لأعداء الإسلام .
إن الإسلام قادم رغم مظاهر الضعف هنا وهناك،والعجيب أن الذين يعادون الإسلام يضعون رؤوسهم في الرمال ولا يحبون مواجهة الحقيقة، وهي حقيقة ما في ذلك ريب، وأكبر دليل على ذلك شعب الجزائر الذي أعطى صوته للإسلام قبل أن يعطيه لشخص أو لهيئة ، لقد عبر عن مشاعره الداخلية ، ووجد أمامه شباباً لم يتلوثوا بالسرقات ونهب الخيرات ، ولم يتلوثوا بالرشاوى والكذب والنفاق السياسي . لقد اتضحت الصورة وانكشف الغطاء ، ومع أن هـــــذا كان معروفاً من قبل ولكنها لم تكن واضحة كما هي في هذه الأيام، إن هــــؤلاء المتسلطين لا يريدون الإسلام من حيث هو ، كانوا يتهمونه بـ (الإرهاب) و (الأصولية) فهل رحبوا به عندما جاءهم عن طريق صندوق الاقتراع ؟ الجواب ماثل وواضح في هذه الدعاوى الكاذبة التي لا ينقصها شيء من الوقاحة وقلة الحياء ، وهذه التعليقات التي قيلت حول انتخابات الجزائر . إذن فالمقصود إبعاد الإسلام بأي شكل من الأشكال، وليست القضية قضية عنف أو سلام ، ولقد قالوها دون حياء أو خجل ومحاولاتهم هذه إنما تعرقل المسيرة وتؤخر اليوم المحتوم، ولكن تبقى الحقيقة قائمة هي أن الإسلام قادم ولو كره المشركون، والحمد لله أولا وأخيراً .

أطراف القضية الجزائرية

محمد حامد الأحمري

مدخل :

كلمة الحق في القضية الجزائرية تذكرنا بموقف فخر الدين الرازي تجاه الحشاشين ، فقد كان فخر الدين الرازي يعلم الـنـاس فـي حلقـتـه فـي المسجد ما يراه حقاً ، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة ، وفـي ذلك الزمان كانت فتنة الحشاشين قد ذرّت ، وبدأت تنشر الإرهاب واغتيال قادة المسـلـمـيـن ، فاغـتـالـوا نظام الملك ، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة ، وكل ذلك إرضــاءً للصليبيين، ووصــولاً إلـى أهـدافهم الـبـاطـنـيـة، وكـان أحـد هـؤلاء الحشاشـين قد انتظم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة ، ليراقب الشيخ ثم يسكته عن النقـــد أو يغتاله،

وسـئـل ذات يـوم عـنـهـم فـشـرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسـلام وأهله ، ثم خرج الشيخ إلى داره ، وفي ناحية من الطريق انفرد الحشاش بالشـيـخ - وكان الحشاش ضخماً قوياً - وعدا على الفخر وصرعه أرضاً ، ثم جلس على صدره ، وسل خنجره وقال : عدني ألا تعود إلى نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن ، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراده ، وفي يوم آخر سأل أحد الحاضرين الشيخ عن الحـشــاشين فقال له : يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً ، لأن لهم حججاً ثقيلة ؛ وأخرى حادة(1) .
هذه هي قصة كلمة الحق في بعض الأزمـــان الماضية ، وهي في زماننا لا تكاد تذهب بعيداً عن هذا ، والناس بالخيار إما أن يقولوا الباطل وتلك هي الفتنة ، أو أن يأخذوا بالعزيمة وهنا قد يتعرضون للسجون والاغتيال والحياة الصعبة ، ولا خير في الترخص في هذا الزمن فقد غلب على الناس .
وقضية المسلمين في الجزائر مما لا يسع المرء السكوت عنه ، كيف وهي مواجهة بين الحق والباطل وبين دين الله وقوى الشر والطغيان .

هوية الحركة في الجزائر :

لقد كان الاتجاه السلفي في الجزائر والعـــودة إلـى الـكـتـاب والسنة هو السلاح الذي سله الجزائريون في وجه فرنسا ، حيث قبلت الطرق الصوفية في الجزائر بالمعايشة مع المستعمر وموالاة أعداء الله،أعداء المسلمين بل قام كثير منهم بإصدار الفتاوى ضد حركة الاستقلال. وثلاثون عـــامـــــــاً مرت بعد الاستقلال لم يبد أنها غيرت من قناعة هذه الطرق قديمها وجديدها، فقد كان لها نفس الموقف من الجبهة ، فهذه الطرق الآن في صف أعداء التوجه الإسلامي في الجزائر ، وقد اجتمع مؤخراً مائة من رؤساء الزوايا والطرق الصوفية وأعربوا عن تأييدهم للمجلس الأعلى للدولة ورئيسه بوضياف(2) نـكـايـــة بالـجـبـهــة الإسلامية للإنقاذ ، وانقياداً للمصلحة الفرنسية العليا ، التي لم يزل الصوفية يفكرون بـها منذ أيام الاستعمار ، حيث وقفوا معها ضد جمعية العلماء وضد الثورة على المستعمر ، ولا يظـهـر أنـها قادرة على تجاوز عقدها الماضية ، فلم يلهمهم الله فهماً في دينه بنصرة الإســلام أو الـمـظـلـومـيــن ، كما لم يوفقوا في مكسب دنيوي محض بمشاركة سياسية كريمة . ولم يزل هؤلاء الطرقية تياراً يؤمن بالمهادنة والميوعة والتزلف ، وقد وجد في السنوات الأخيرة تيار سياسي صوفـي حـــــارس للمصالح الأجنبية ، ليس في الجزائر وحدها حيث يلوي شيخ الطريقة عنق الأمة تحت تلك الأقدام القذرة وإن كانت أقدام النصارى :

إذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب

وجبهة الإنقاذ الإسلامـي حـــــركـة سلفية فيها بساطة الإسلام ، ووضوح شعارات القرآن والسنة ، وفيها عزة الوضوح ، وجماهيرية الاستجابة ، وظاهرة الالتزام بالسنة ، والأمة المسلمة عندما تصمم على امتلاك حـقـــــوقها فإنها لا

تؤمن بالشيخ الوصي والوكيل عنها ، المخدر لعقلها، الذي بيده كل الخيوط والأسرار وطرق السماء والأرض! ليس الأمر كذلك ، فكلام الله وهـــــدي رسوله مبسوط ميسور، والسبق للعامل الملتزم المتقدم إلى ساحة العمل والوعي، وبذل النفس والمال والجهد ، وليس في هذا أحاجٍ وألغاز يفهمها الغازي المستعمر وحده ، ويفسرها للناس شيخ الطريقة حسب مصالح الأول . والأمة لها عقل ، قد تخطئ مرة ، وقد تُضلل مرة ، ولكن ليس دائماً . والجبهة الآن تمثل قضية المسلمين في الجزائر ووعيهم بأنفسهم وبمصلحة أمتهم ، وتحديداً "العودة إلى الله" بعد غربة طويلة صنعها الاستعمار ثم زادها بعداً الحكومات المتتالية ؛ التي كانت وجهاً عربياً للفرنسيين .

فرنسا والغرب :

دار حديث في الأوساط السياسية في أعقاب أزمة الخليج عن ترتيب أوروبي أمريكي يلتزم بإبقاء نفوذ فرنسا قوياً للمرحلة القادمة في شمال أفريقيا ، وزار ميتران تونس وأبدى عدم رضاه عن وجود نفوذ للثقافة الأنجلوسكسونية في تونس ، ثم التزم لتونس بإرسال ثمانمائة مدرس للغة الفرنسية تدفع نفقاتهم فرنسا . وفي الجزائر ذكر سيد أحمد غزالي أن فرنسا تعامل الجزائر وكأنها لم تستقل بعد ، أو أن الفرنسيين لم يقبلوا باستقلال الجزائر(3).
وقد كان توقع فوز الجبهة مثار هلع كبير في الصحافة الغربية والفرنسية بوجه خاص ، تعكس ذلك بعض عناوين الصحف الفرنسية : "فرنسا: الدولة في حالة تأهب (4)" وفي لندن "الأخبار المفجعة بفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ"(5) وبعد الانتخابات رأى الفرنسيون في نجاح الجبهة خطراً لا يهدد فقط الجزائر والعلاقات مع فرنسا لكن أيضاً يهدد الأمن الفرنسي(6) . ولم تخف وسائل الإعلام الغربية خوفها الشديد مما حدث ، وقالوا : هذا الخطر ليس تهديداً لعلاقاتهم السياسية فقط ، بل تهديداً للثقافة الغربية في الجزائر ، وتساءلوا عن مصير المسرح وبرامج التلفزيون والجرائد والمدارس التي تعتمد اللغة الفرنسية وهي الواجهة الفرنسية في الجزائر ، وتساءلوا أيضاً عن مصير شمال أفريقيا كله هل يعني هذا عودة الإسلام قوة في الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط ؟ وهل يعني هذا تغييراً شاملاً في المنطقة ، وبالتالي بداية لتاريخ مختلف عن الذي سجلته أوربا في عصور سيطرتها على العالم .
وفي واشنطن ذكر المتحدث باسم البيت الأبيض خطورة وصول الإسلاميين إلى الحكم في الجزائر وأن ذلك سيكون مهدداً لعلاقة الجزائر مع الغرب ، ولما تولى الجيش أعلنت أمريكا أن هذه مسألة جزائرية داخلية ، وذكرت بعض المصادر ما يوحي بعلاقة ما بين الجيش في الجزائر والسلطات الأمريكية(7).
وأشار نفس المصدر إلى أن "المؤسسة العسكرية" ستجهض المناورة الأصولية"(8). ومن المعروف أن أمريكا وفرنسا ومن يدور في فلكهما يريدون بقاء مصالحهم في الجزائر والتي على رأسها :

1- إبعاد الإسلام عن السياسة تماماً ، وذلك بإصدار قانون يمنع استغلال الدين في السياسة .
2- فتح الأسواق للبضائع الأوروبية والأمريكية .
3- تدفق الثروات الجزائرية رخيصة إلى الخارج .
4- فتح المجتمع الجزائري للتغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها .

الديموقراطية :

كانت الصادرات الأوروبية إلى العالم الإسلامي عديدة ومختلفة ، بدءاً من وسائل الحياة الحديثة ، إلى الأسلحة والأفكار والمبادئ ، ومرت بنا مرحلة كنا نظن فيها هؤلاء الغربيين حريصين على أخذ كل شيء عنهم ، وكتب من قومنا من كتب مرحباً بالزمن الغربي والحياة الغربية ، وانقسمنا وما زلنا ننقسم تجاه ماذا نريد وماذا يريدون لنا . اختصاراً للقول تبين أنهم مع فرحهم بتقليدنا لهم لكنهم لا يرضون بأن نكون مثلهم أحراراً ! مهما حرصنا على ذلك .
وقد كان هؤلاء الغربيون العنصريون دائماً لا يرون غيرهم في مستواهم الإنساني والعقلي ، وبالتالي فنحن لا نستحق من الكرامة والحرية والإنسانية ما يستحق الإنسان الغربي ، وقديماً وصف شاعرهم كيبلنغ الإنسان في العالم الثالث بأنه مركب من نصفين "نصفه طفل ونصفه شيطان" ، وحين كان غاندي يلاين ويلاطف الإنجليز وهو ابنهم المخلص الذي تربى وعاش على ثقافتهم كان يصفه أحد كبار الساسة البريطانيين بـ "القرد العاري" .
واستضاف أحد الأفارقة فرنسياً وفرش له في داره خير ما عنده وأكرمه فكتب عنه الفرنسي : "لقد كان يزحف على طرف الفراش كما يزحف الكلب" .
لهذا فإن هذه الشياطين والقرود والكلاب - في منظور الغرب - لا تستحق الديموقراطية مهما سعت إليها ، فهي ميزة وتكريم للإنسان الغربي فقط ، ومهما تبجح الغرب أنه يساندها في العالم الثالث فإنه حقاً يحاربها إذا كانت ستحمل الكرامة والحرية أو شيئاً من هذا للإنسان في العالم الإسلامي ، وذلك ليس لأنه لم يبلغ درجة عالية في إنسانيته - كما تقول الفلسفة السياسية لداروين - ولكن لأن الغرب الآن يقف معنا على أرض واحدة وميدان حرب جديدة منذ بدأنا نعي أنفسنا أخيراً . ونطالب بحريتنا وكرامتنا بين سكان هذا العالم . ويخطئ بعض الكتاب والدعاة عندما يرون أن الغرب يمكن أن يصدر لنا هذه البضاعة "الديموقراطية" . ولكن أحداث الجزائر اليوم شاهد يفقأ عين المخالف ، فها نحن لما حاولنا تقليدهم أو الاستفادة من بعض ما عندهم حاربونا وحرمونا حتى حق تقليدهم ، وهكذا في الصناعات سيقفلون أسواقهم عنا لو حاولنا تصدير بعض البضائع اليسيرة ، وأيضاً يمنعوننا حتى أن ندفع لهم الملايين لشراء أسلحة من مصانعهم مهما التزمنا بمواثيقهم ، وإن كان عائدها

المالي خيالياً بالنسبة لهم ، ويبقى شبح كرامتنا وحريتنا واستقلالنا يرهقهم ويفكرون فيه كثيراً . ويبقى السؤال : هل يعامل العالم الغربي الناس في خارجه كبشر حقاً ؟
الحق الذي لا مرية فيه أنهم لن يرضوا لنا خيراً أبداً ((مَا يَوَدُّ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ولا المُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ واللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ)) . [البقرة 105] ، أي خير! حتى الذي يمكن أن يحمله إلينا بعض أفكارهم التي لا نشك في انحرافها والتي لا تقوم على أساس نعتقد شرعيته ، ويمكن أن يعطونا بعض أفكارهم ومذاهبهم ولكن بشرط أن نترك الإسلام ، وقد تساءل أحدهم : هل ستستمر الديموقراطية في الجزائر ؟ ثم قال : "نعم ولكن بدون إسلام"(9) وقد تبنى بوضياف هذا القول وترجمه إلى العربية على أنه من كلامه وهدد به الجزائريين . وأنه لا يسمح باستخدام الدين في السياسة "لأن الإسلام مقدس" ؟؟ نعم ولأن السياسة بمفهومه معاكسة للمقدس .

الإسلاميون هم سبب الديكتاتورية :

كان من الممكن في العالم العربي أن تتوفر فيه ديموقراطية كالتي في الهند ، وقد كان في مرحلة ما بعد الاستعمار بوادر شيء من ذلك ، ولكن حين بدأ الصوت الإسلامي في الظهور من بلد إلى آخر كان الجواب الغربي : تسليط استبداد العساكر عليهم ، من المعلوم في قصة الجزائر أن الغرب والشرق كان سيرضى عن نتائج الديموقراطية في الجزائر ، لو خرجت النتائج لغير الجبهة الإسلامية وكانت الجزائر ستجد من التحية والإشادة بها وبإيمانها بالحرية والديموقراطية ما تجده الآن من الإشادة بهذه الديكتاتورية المكشوفة التي لا يحجبها إلا ألاعيب زائفة يدركها أنصار الحرية وأعداؤها على السواء . إن العالم يقرأ أو يسمع هذه المواقف العالمية ويستغرب تماماً هذه الجريمة التي يمارسها العالم ضد ما يدعي من مبادئ الحرية والديموقراطية وحق الشعوب في اختيار حكامها وتقرير مصائرها ، وفجأة إذا هذه الدول وهذه المنظمات تمد يدها لاغتيال كرامة شعب مسلم وحريته ، وتؤيد الاستبداد والسجون والتعذيب للقيادات الجزائرية لأن هذه القيادات مسلمة داعية إلى الحق من خيرة المجتمع الجزائري : وقالت هذه القوى بصراحة لا تحسد عليها : مرحباً بكل فساد يقف ضد المد الإسلامي . وكنا نتوقع المراوغة في المواقف والنفاق ، ولكن صراحة أعداء الإسلام في مواجهة المسلمين كانت فوق كل تقدير .

الجيش :

مع بداية تصاعد مطالبة المسلمين في الجزائر بأن يحكموا بالكتاب والسنة وأن يتخلصوا من الاستبداد أصبحت القوى المخالفة لرغبة مصلحة الشعب تراهن على لعب البطاقة الأخيرة ضد رغبة الناس وحريتهم وقد نشرت إحدى

المجلات الفرنسية(10) خبراً يقول أنه في يوم 29 كانون الأول بعد ثلاثة أيام من الدورة الانتخابية الأولى غادرت ثلاث طائرات من طراز هركليز مطار وهران إلى الجزائر العاصمة محملة برجال الاستخبارات العسكرية يلبسون لباساً شبيهاً بلباس الإسلاميين وموفرين للحاهم وذكرت المجلة أن السيناريو الذي يتوقعه كثير من الديبلوماسيين الغربيين(11) وكثير من الجزائريين أن تجري حوادث استفزازات دامية خلال الأسبوعين الأولين من السنة الجديدة ، تعطي فرصة للقضاء على الجبهة الإسلامية في الجزائر وتترك الجزائر تعيش في جو من عدم الاستقرار وقد تقع تحت سيطرة الجيش .

وقال المعلقون : "المعروف أن تصميم هذه المؤسسة "الجيش" على قطع الطريق أمام الإسلاميين للوصول إلى السلطة ليس جديداً"(12) . وكان معروفاً منذ ما قبل انتهاء الانتخابات أن الجيش سيتدخل في حال فوز الجبهة الإسلامية بالنتائج واستعد بقواته وحاصر بها المدن حتى تم الانقلاب العسكري الذي جاء بهذه الشخصية الغائبة عن الجزائر لمدة تزيد عن 27 عاماً إلى الحكم ، والذي يشير له المراقبون أنها شخصية يرضى عنها أعداء الجبهة الإسلامية وصفها حشاني بالقيادة المستوردة . وهي شخصية عارضة في هذه المرحلة ، حيث القرارات والسلطة الفعلية بأيد أخرى وهو ستار مدني لحكم عسكري .

وقد بدا شأن الجزائر في هذه الأيام يوحي بأن المتحكمين في المجلس الأعلى أقرب إلى حال مجموعة من السفراء لمصالح خارجية . فقد علقت وسائل الإعلام على هؤلاء الأشخاص بأن فلان رجل فرنسا والآخر رجل الجيران والثالث...والرابع... ولم تحمل هذه الأسماء من يمثل واقع الشعب وحاجته ، وهكذا واقع السياسة في العالم الثالث السياسة القادمة من الخارج أهم من الشعب ومصالحه ، وهذا ما جعل غزالي يشك في أن الفرنسيين لم يقبلوا بعد استقلال الجزائر كما سبق . وهذه الحقيقة هي التي تفسر عدوان الجيش على مصلحة الشعب ومصادرة حقوقه إذ أن فيه من يعمل لمصالح أخرى كما سبق في فقرة "فرنسا والغرب" . على الرغم من أن قطاعاً كبيراً من الجيش لا يبدو أنه ذو قناعة تامة في الخروج على الدستور وأنه لا يريد المواجهة العسكرية مع الشعب . وهذا ما جعل الانقلابيون يفرقون من خطابات عبد القادر حشاني زعيم الجبهة الإسلامية للجيش ومناشدته للجيش بتقوى الله وعدم قتل الناس وجر البلاد إلى حرب أهلية ، ونادى الجيش بترك دعمه للاستبداد .

وأصبح الجيش في الجزائر وللأسف تلك العصا التي يُجلد بها الشعب بإدارة خارجية وتلك مأساة الجيوش في العالم العربي ذات قدره فعالة في التدمير وإذلال وقمع الشعوب في الداخل ، ومقدرة نادرة في الهزيمة أمام كل عدو خارجي .

ولا يصعب تفسير هذه الظاهرة إذ الجيوش في عالمنا غالباً متخلفة عن الوعي الديني العام ، وتدين بالولاء لعقليات قمعية ومستبدة ، ربت جيوشها على الاستبداد وفردية القرار والطاعة العمياء في الحق والباطل ، ويحال بينها وبين وسائل المعرفة والوعي عن قصد ، لهذا كانت سلاحاً خطيراً يضرب بلا وعي . وواجب الأمة تدارك هذا الفساد وإيجاد هدنة ما بين الشعوب وجيوشها ومصلحة الأمة لا تختلف بحال عن مصلحة الجيش أخيراً .

المسألة الاقتصادية :

تناول بعض أعداء التوجه الإسلامي في الجزائر القضية الاقتصادية وذكر أنها هي السبب في إقبال الشعب على الحل الإسلامي وعلى كل ما حدث ، وهؤلاء الكتاب فيما يبدو ليسوا شيوعيين ، وهم يعرفون كذب هذا الذي زعموه ، وأيضاً فهم لا يملكون الشجاعة في قول الحق ، ولا الخروج من عقدة الحقد على التوجهات الإسلامية في العالم الإسلامي ، لهذا يخرجون بتحليلات ساذجة وبعيدة عن الصدق ، وتؤكد ثقافة التزوير التي يشهدها عالمنا الإسلامي لمصلحة أعدائه . نعم في الجزائر حالة اقتصادية سيئة ، كما يقول أحد الصحافيين(13): - وليس إسلامياً حتى لا تُتهم - "إن الشعب الجزائري ذاق طعم الحرية بعد سنوات طويلة من حكم الاستبداد والديكتاتورية والرأي الواحد والحزب الأوحد . فبعد عقود متصلة من القهر والنصب والفشل والخداع باسم الاشتراكية مرة وباسم الحفاظ على حقوق الشعب العامل مرة أخرى ، اقتنع الشعب الجزائري بهول الجريمة التي ارتكبت في حقه فلا الأحلام التي عاش عليها بعد الاستقلال تحققت ولا الثروات الطبيعية الهائلة التي وهبها الله له فوق وتحت الأرض الجزائرية صرفت على تحسين مستوى المواطنين ، ولا المتاعب والأعباء المعيشية الصعبة نجح الحكام في التخفيف من حملها وضغطها"(14) . ليس هذا فحسب بل إن السرقات التي سرقها الحكام والمتنفذون السابقون والتي ذكرت وسائل الإعلام إمكان عودتها من الحسابات السرية في أوربا بلغت 20 مليار دولار(15) وتزيد بعض التقديرات هذا المبلغ إلى ثلاثين مليار دولار فالذين لا يؤمنون بيوم الحساب ، ولا يؤتمنون على مصلحة الأمة سواءاً جاءوا من شبهة التحرير أو من العساكر هم الذين سرقوا ثروات الأمة ، ورجال الإسلام هم موضع الثقة حقاً في هدا العصر وفي كل عصر ، ثم لماذا لا يتوجه الجزائريون إلى حزب آخر إذا كان الأمر هو الضائقة الاقتصادية ، بل لو كان الأمر هكذا لدعم الشعب الجزائري جبهة التحرير وسيد غزالي ، كيف وقد تدفقت القروض على الجزائر بمجرد وصوله لأنه رجل الغرب ، وقد تكفل لهم بحرب الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، ولو كان هدف الشعب فقط أن يملأ بطنه لوجد غير الجبهة ممن رفع هذا الشعار. لكنها الدوافع الإيمانية أولاً وقبل كل شيء ثم فساد الحكومات العلمانية المتوالية أكد للناس حاجتهم إلى دين الله وعدل الإسلام . والجبهة كما يعلم أى عاقل

لن تحمل لهم ثروات العالم . والمسألة الاقتصادية تحدٍ مهم ولا شك لكنهم يثقون على الأقل أنها لن تنهب وتسرق ثرواتهم وستعمل الجبهة الإسلامية على تخفيف الديون الباهظة التي أصبحت الحكومة غير قادرة على تسديد أرباحها الربوية .

أطراف أخرى للقضية :

يندرج كثير من القوى الفاعلة في الساحة الجزائرية تحت بعض الأطراف السابقة ، فجبهة التحرير ذات الاسم والشهرة التاريخية أصبحت ميراثاً عاماً للشعب بمالها وما عليها ، وبقية رجالها إما واقعون تحت نفوذ الجيش ومنهم طائفة أخرى لها صوت معارضة لسلطة الجيش ولا يظهر أنهم جادون في اتخاذ موقف يخرج عن دائرة مصالح الأطراف المعارضة للجبهة الإسلامية .

البربر :

يشكل البربر ، قرابة 4 ملايين(16) من 26 مليون عدد سكان الجزائر ، منهم طائفة كبيرة تتبنى منهج وأسلوب الجبهة الإسلامية ، بالمطالبة بعودة البلاد إلى الحياة الإسلامية ، وبرز منهم قيادات إسلامية من أمثال الشيخ محمد سعيد في الجزائر العاصمة ، أما في مناطق القبائل "تيزي أوزو" فقد اتضح مناصرة عدد منهم لآيت أحمد "القوى الاشتراكية" وهم منطقة نفوذه واستغل قضية البربر مواجهاً بها الجبهة الإسلامية وعندما أسس آيت أحمد حزبه البربري في فرنسا بدعم من فرنسا أكد على قضايا عديدة منها إبعاد البربر عن الإسلام واللغة العربية ومحاولة كتابة اللغة الأمازيغية البربرية وإحلالها محل اللغة العربية، وبالتالي يستطيع تشكيل أقلية وحقوق أقلية ومسمار فتنة في الجزائر عسى أن يتلافى الإسلاميون تقصيرهم في حقوق إخوانهم وأن يوقفوا الفتنة قبل تعاظمها .

الليبراليون التحرريون :

وهناك ما يسمى بالقوى الليبرالية "التحررية" وهي القوى التي تراعي مصالح الغرب وتؤمن بأفكارهم وأسلوب حياتهم ، وقد درج هذا القطاع من الناس على التحريض على الإسلام ودعاته ووصمهم بتلك الألقاب التي كانت ترددها فرنسا زمن حرب التحرير وكانت تصف المجاهدين في الجزائر بأوصاف التعصب والرجعية . والآن تردد بقايا جيوب الظلام العلماني نفس المقولة بكل ببغائية وسذاجة فتصف الجبهة بالتعصب والرجعية والتطرف والخوف على الانحلال والدمار الاقتصادي الذي جلبته مرحلة الضياع في الجزائر . وهذه الطائفة تمثل الطابور الخامس في كل بلدان العالم الإسلامي وهم دعاة الفساد وجلاوزة الاستبداد ويحلو لهم أن يلبسوا لباس الثقافة الليبرالية ، وهم بعكس هذا .

وليست لهم قوة مهمة في الجزائر غير أنهم يتمتعون برعاية عناصر الديكتاتورية في الجزائر والدعم الغربي المحارب للتوجه الإسلامي ويتوزعون

على الأحزاب المعارضة للجبهة ويقيم بعضهم في فرنسا . وهذه الطائفة مع أمثالها خارج الجزائر تقوم بدور الدعاية المضادة للإسلام ولمصلحة الجزائر ورغبة شعبها .
إن سير الأحداث لا يدل على أن أعداء الإسلام يمكن أن يسمحوا له بالوجود ولا للمسلمين بممارسة حقهم في حكم أنفسهم بما يريدون(17) فالمسلمون أسرى في بلدانهم لقوانين عبودية غربية جائرة ؛ وأمام أعيننا هذا المشهد الذي يثير عجب كل عاقل ، ويثير حمية كل مسلم ، ينتهك حقه وحريته وكرامته ، فعندما نستخدم قوانين الغرب وأعرافه لننال بها حقاً لنا يتنكر هؤلاء للقوانين التي سنوها ويحطمون ما أسموه مبادئ وحريات وديموقراطيات ، ويواجهون المسلمين بالسجون والمطاردة والتعذيب والتخويف وهم الذين شهد قانونهم ومحاكماتهم بما أوصلوا له العباد من فساد وفقر وخوف ، ثم يستمرون ويعدون بأنهم سوف يسمحون بالديموقراطية بعد إصدار قانون يحرم استخدام الإسلام في السلطة ، وهم اليوم يمنعون المساجد أن تذكر فيها قضايا المسلمين ويحاولون إغلاقها وجعلها منابر حكومية، ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [البقرة 114] .

ختاماً :

لـقـد تـبـيـن مــــن الانـتـخـابـــــات الـتي كانت نتائجها صحيحة ولم يثبت لدى اللجنة القضائية(18) خلاف ذلك وبطلت الطـعون التي قدمها أعداء الجبهة الإسلامية أن الشعب يرى قيادته الفعلية التي تحقق مصلحته وتخرجه من الفساد هي الجبهة الإسلامية ، وأي قوة غيرها تهيمن عليه إنما هي سلطة يرفضها الشعب ابتداءاً، ويعلم أنها ستسوقه في طريق أشد ظلمة مما حاولت الخروج منه ، وسيمارس المغامرون من عـسـاكـــــر الانقلاب الجديد أسلوبهم في نهب الثروة وإذلال الشعب ، حتى ترضى فرنسا ويرضى غيرها من القوى التي أيدت مجيئهم ويسرها كل شر يقع للمسلمين . وربما حدث ما لا يتـمـنـــاه مسلم من حرب أهلية قد لا يستطيع مثيروها إيقافها وقد تتسع دائرتها وتترك كل شيء بعدها خراباً .
وقد حرصت الجبهة على تجنب الاضطرابات وضبط النفس والتعامل بأسلوب إسلامي راق ومتزن ولم يتوفر هذا الانضباط والهدوء في مواجهة الموقف وتقدير المسؤولية من غيرهم ، في حين يقع الظلم والتزوير عليهم،فهل الاسلاميون قادرون على تحمل المزيد من الأذى وضبط النفس أم سيواجهون من الآن وتكون العاصفة ، أم هـل سيقبلون بالتأجيل إلى جولة أخرى والصبر على مرارة الموقف حتى يعدوا أنفسهم لجولة أخـــــرى يقابلون بها هذه الانتهازية والتسلطية التي تصر على إبعاد الشعب عن دينه وهويته

ومـصـالـحـــه ، والعمل على قطع جذور الفساد والتبعية ، وإحلال السلم والأمن والعدل محل النهب والـسـطو والجور الذي يصفق له العالم المنحاز بكل صفاته ؟ ليس طريق الحق سهل الورود، فدونه فتن وابتلاءات قص الله في كتابه منها ما يجعل المؤمن يثق بالحق ويدافع عنه ويـصـبـر عليه مهما لقي في طريقه بقطع النظر عما حقق . ((ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولـُوا آمَـنَّــــا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ * ولَقَدْ فَتَنَّا الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ)) والـــــذي أصــبـح مـعـــــروفـــــاً لدى عدونا ويعاملنا وفقه هو أن يمارس علينا أسلوب القتل والسجن والإرهاب ثم يستمر في طـغـيـانـه بلا رادع بواسطة وكلائه عندنا ويحقق بهذه الممارسة كل رغبات الصليبيين واليهود الذين يـسـمـون عـلـمـــاء الأمة ودعاتها وقادتها ورجال إنقاذها بالمتطرفين والأصوليين وقد وصف رسول الله -صلـى الله عليه وسلم- والأنبـيـــاء بأكثر من هذا ، وما أسعد اليهود والنصارى حين يرون الدبابات والأسلحة والجيوش - وكـــل هذا يقال أنها جيوشنا وسلاحنا - تسدد ضربات للأمة وتقتل وتسجن وتشرد خيار رجالـهــــا وقـادة العلم والفكر والسياسة فيها ، إلا إنه لم يقدم لعدونا من النصرة علينا وهزيمتنا مثلما قدمـتــه جيـوشـــنـا التي تخصصت في قتلنا وتعويق أي سبيل لنا في النهوض أو أنها على أحسن الظنون اسـتـخـدمـت بـلا وعـي . اللهم إنا نسألك لإخواننا الثبات على الحق وألا تعرضهم لفتنة أكبر وأنت القادر على ذلك .

الهوامش :

1- في بعض روايات القصة أنه وعده بمال إن سكت (راجع كتاب "الحشاشون " ، برنارد لويس) .
2- الحياة 23/1/1992 م
3- نص قول غزالي :"إن بعضهم في فرنسا ينظر إلى الجزائر كما لو أن هناك تضامناً بينهم وبيننا . لكن هناك من يستمر في التفكير في مشاكل الجزائر كما لو أنها مشاكلهم لأنهم لم يقبلوا بعد استقلالنا ، الحياة ، الأربعاء 18 رجب 1412.
4- عنوان رئيسي لمجلة لوبوان الفرنسية عدد 919 ، 30/4/1990
5- التايمز 14/6/1990
6- المصور ، 3/1/92 تلخيصاً عن لومرند الفرنسية
(7-8)- الوطن العربي 10/1/92
9- الغارديان ويكلي ، 26/1/92
10- الكنار أنشيني 1/1/92 Le canar enchaine
11- لأنهم هم الذين صمموه فلا يرون مجلاً لتوقع آخر
12- الأسبوع العربي ، عدد 1684 ، كانون الثاني 1992 م .
13- إبراهيم سعدة

14- أخبار اليوم 13 رجب 1412 ، 18 كانون الثاني 1992
15- القدس 18 رجب 1412 ، 21 كانون الثاني 1992
16- ليس هناك احصاءات دقيقة في هذا الموضوع .
17- قد يسمح للمسلمين بنشر كتب عن الإسلام وإرسال دعاة من الأزهر وغيره أو بث برامج عن الإسلام في حدود ولكنهم لا يمكن أن يسمحوا بإقامة دولة للإسلام ولو في جزيرة في المحيط لأنها بداية لنهاية التسلط الصليبي على المسلمين ، سيد قطب ؛ الإسلام ومشكلات الحضارة" فصل طريق الخلاص .
18- تكونت اللجنة من سبعة أشخاص ثلاثة منهم قضاة سابقون وقد خـرجــــوا بإثبات سلامة الانتخابات وردوا الطعون وهذا من الأسباب التي عجلت بخروج الجيش قبل الدورة الأخيرة ثم أخرج الجيش خطاباً سياسياً ادعى فيه تزوير الانتخابات ، علماً بأن الأطراف المتنافسة المهمة ترى نزاهة الانتخابات . مع وجود بعض المنـــاطق لم توزع فيها البطاقات الانتخابية ، وكانت من مناطق نفوذ الجبهة .

رسالـــة إلى جبهة الإنقاذ الإسلامية

ببالغ الفرحة والسرور تلقينا خبـر نجـاحكـم في الدورة الأولى للانتخابات الجزائرية والتي خرجت بنتائج باهرة أفرحت كل مسلم يحمل هـم الإسـلام فـي قـلـبه . وأغاظت كل عدو وحاقد ومنافق لايريد لكلمة الحق أن ترتفع ، ولا لأصحابها أن يعلو شـأنـهـم تـمـامـاً كما وصـفـهـم الله عز وجل : ((إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وإن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا)) [آل عمران 120] .
ونحن - عـلـم الله - فـرحـنـا بفوزكم الذي إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشعوب المسلمة التي ذاقت الذل تحت نـيـر الـمـناهج الأرضية تشتاق إلى التحرر من نير العبودية للمناهج والأنظمة الوضعية الدخيلة ، إنه الظمأ إلى جرعة من النبع السلسبيل بعد أن أفسد الملح الأجاج حياتنا .
إن انتصاركم - أيها الأحبة - عزاءٌ لنا في هذا الزمن.. زمن الهزائم المتكررة والاستسلامات المتتابعة .
لا يغرٌنكم ما صنعوه وما سيصنعوه ليفسدوا عليكم هذا الانتصار الرائع فأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين .
أيها الإخوة : لقد ساءنا هذا النفاق العالمي الذي يكيل الأمور بمكيالين ، فمن حق شعوب العالم قاطبة أن تختار المنهج الذي تريد والقائد الذي تريد. أما الشعوب المسلمة فهي شعوب فسدت أذواقها . فلم تبلغ بعد سن الرشد لتختار من تريد .

أيها الإخوة: لقد ساءنا هذا التضامن الإقليمي الذي لم يفلح قط إلا في محاربة الحركات الإسلامية الأصيلة التي تريد العودة بالأمة إلى عزتها واستقلالها .
إن هؤلاء العملاء المحليين يرفضونكم ويرفضون أمثالكم . وهم في المقابل يدخلون اليهود في نسيجنا السياسي والثقافي . فقبح الله قوماً جعلوا اليهود أصدقاء وجعلوا الدعاة والمخلصين أعداء يحرصون على إيذائهم وإخفات صوتهم بكل سبيل . مرة أخرى أيها الأحبة : لا يغرنكم ما صنعوه وما سيصنعونه ليفسدوا عليكم هذا الانتصار الكبير فأنتم الأعلون إن شاء الله .
أيها الإخوة : نحمد الله أن عاد للجماهير وعيها فاختارت الإسلام ليكون هو الحل والمنهج ، لقد قدمتم للدعاة نموذجاً متقدماً من نماذج العمل الإسلامي الجماهيري ، ولكن الجماهير وحدها لا تصنع نصراً ، إننا نطمح بعد نجاحكم في العمل الجماهيري ، أن تقدموا لنا نجاحاً آخر في مجال بناء القاعدة الصلبة وإعداد الكوادر المؤهلة.
إن العمل الإسلامي على مستوى الأمة - والجزائر جزء منه - بحاجة إلى قلة تنقذ الموقف . بحاجة إلى رجال متجردين ينبرون لعملية الإصلاح السياسي والاقتصادي والإعلامي وقبل ذلك الإصلاح الديني العقدي .
هؤلاء هم الذين سيقومون بتربية الجماهير ونشر العلم الشرعي بينها ، حتى يصبح الإسلام مطلباً شعبياً ملحاً تغضب من أجله الجماهير أكثر من غضبها لمطالبها
اليومية .
إن هذه الجموع المباركة التي تربت على يد القاعدة الصلبة لن تقف في وجهها ألاعيب الساسة العلمانيين ، ولن يرهبها سيف الجيش المسلط ، كما لن تغريها الوعود بالرخاء والرفاهية .
أيها الإخوة : إن حجماً هائلاً من الكيد العالمي والمحلي يكيد لكم ولأمثالكم من الدعاة المخلصين ، وأحياناً ينسينا التأييد الشعبي المكثف حجم هذا الكيد فيظن الظان أننا قاب قوسين من قطف الثمار .
أيها الإخوة: نطالبكم بألا تدعوا أعداءنا وأعداءكم يستجرونكم إلى معركة لم تحددوا مكانها ولا حجمها ولا أدواتها . وكما أن البذرة لا تصبح ثمرة يانعة بين عشية وضحاها - وأنتم أدرى بذلك - في أرض الزيتون والعنب، فـكـذلـك الـدعـــــوات بحاجة إلى التعهد والرعاية والبناء حتى يصلب العود ويخرج شطأه ويستغلظ .
أيها الإخوة : لا تظنوا أنكم تقفون في أرض الجزائر بمفردكم ، فهناك الألوف والألوف من إخوانكم في شتى بقاع العالم يرقبونكم ويعيشون مـعـكم بقلوبهم ، إن الروح الإسلامية باقية وإن ظنوا أنها قد أخمدت عندما هدمت الخلافة، ومـــــزق الاستعمار أراضينا إلى دويلات صغيرة هزيلة .

هذه الروح الإسلامية هي التي تجعل الهندي المسلم يـفــرح بفوز الجزائري المسلم ، وهي الروح التي جمعت المسلمين على شتى لغاتهم وأعراقهم في أرض أفغانستان المسلمة . لذلك - أيها الأحبة - حافظوا على هذه التجربة الناجحة وخذوا بأسباب النصر الشرعية التي ذكرها الله في كتابه ، فنجاحكم سيكون نموذجاً لغيركم ، وبداية لحقبة جديدة في تاريخ المسلمين المعاصر .
واختم رسالتي هذه بدعوة إلى الدعاة إلى الإسلام في الجزائر من خارج الجبهة فأقول لهم:
- إن العدو لا يفرق بين معتدل ومتطرف ، فالجميع أصوليون تجب محاربتهم والقضاء عليهم .
أيها الإخوة : ما أحوجكم إلى الاتحاد والتعاون ونبذ الفرقة والاختلاف كما قاله تعالى : ((ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [آل عمران 105] .
((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ واصْبِرُوا إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [الأنفال 146] .
إن الخلاف شر وخصوصاً في مـثـل هــــذه الظروف العصيبة من تاريخ المسلمين ، وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص . وهذه الـظـــــروف تحتم التعاون مع إخوانكم في الجبهة ومساعدتهم ، وأن لا تكونوا سهماً في كنانة العلمانيين الذين بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ؛
يستخدمونه ضد كل من يلتف المسلمون الصادقون حوله ، وأختم رسالتي بآية عطرة من كتاب الله الكريم : ((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ ولَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ومِنَ الَذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فَإنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) [آل عمران 186] .

ماذا يريدون ؟

من الملفت للنظر هذا الدوي الإعلامـي والـسـيـاسـي الهـائـل الذي أعقب الدورة الأولى من الانتخابات في الجزائر ، وتداعيات الأحداث التالية لهذا الحدث المزلزل . ومع هذا الكم الهائل من التحليلات والتوقعات والإشارات فإن الحدث الجـزائـري يظل هائلاً ، مدوياً ، بل زلزالاً بكل المقاييس والمعطيات، ولا أظن أن هذا الحدث قد أخذ أبعاده وآثاره وبصماته المستقبلية بعد، وإن كـان قـد رسـم لـنـا مـعـالـم حاضرة ومستقبلية هامة، لعل من المناسب الحديث عن أبرزها..
إن الـحـدث قـد كشف عن هشاشة الطروحات العلمانية واليسارية والقومية والانتهازية ، فهي أول انـتـخـابـات يـشـارك فـيـهـا أكثر من خمسين حزباً طرحت كل المناهج والرؤى المعاصرة فلا مكان للحجج القائلة بأن الـتـيـار الإسـلامي قـــد مارس إرهاباً فكرياً أو حمل الـناخـبـيـن قسراً على تبني الحل

الإسلامي . ففي المثال الجزائري كان الشيوعيون المحنطون يعرضون بضاعتهم المزجاة جنباً إلى جنب مع "حزب فرنسا" الذي يصيح بكل ما أوتي من صوت منادياً باستعمار الجزائر من جديد على يديه وفي حضور كل التيارات السياسية المعاصرة... والحق أن الإسلاميين كانوا القوة الوحيدة التي لم تكن تتكئ على قوة خارجية أو دعم من خارج الحدود - كما كان وضع بقية صفوف الأحزاب السياسية - التي اكتشفت أنها ظل ثقيل "للآخر" الذي يضخمها بدعمه الخارجي .

إن الحدث بأطواره الأخيرة لا يمكن أن يفصل عن إطاره التاريخي والموضوعي والمنهجي.. فأحداث الجزائر ليست وليدة اللحظة ، ولم تنبت من فراغ ، فهي إفراز متوقع لحالة المواجهة الضارية التي خاضها المسلمون في هذا الصقع ، منذ نزول الصليبيين الفرنسيين قبل أكثر من قرنين ومحاولة هؤلاء سلب هذا الشعب العريق هويته العقدية والحضارية . وفي خضم هذا الصراع ظل الإسلام وحملته هم ضمير الأمة وقادة الصفوف في ساعة الزلزلة ، منذ عبد القادر الجزائري ومروراً بزعماء جمعية العلماء (ابن باديس والإبراهيمي) وحتى امتدادهم المتمثل بجبهة الإنقاذ.. وقضية الإسلام كهوية وثقافة ومنهج تفرض نفسها من جديد بالرغم من محاولة العسكر (بعد الاستقلال) طمس هذه القضية أو تحجيمها من خلال تبني الطروحات السياسية والاشتراكية، وإن كانت، ظروف بومدين وعصابته بالأمس قد أوهمتهم بالتغلب على هذه الإشكالية ، فإن الواقع اليوم يؤكد أن قضايا الأمة الكبرى لا يحلها الإرهاب والتسلط ، وأن المعضلات المتعلقة بالكيان الحضاري والصيرورة العقدية ترفض أن تخضع لفوهة المدفع أو تسلط الحذاء العسكري الثقيل ، إنها في جوهرها بالنسبة للمسلم اليوم الوجود أو الذوبان.. ومن هنا فإن التدخل العسكري الثالث للجيش بعد تدخل عام 1988م ويونيو 1991م يواجه الإخفاق الذي واجهه في المحاولات السابقة، ويقابل بنفس الكراهية والاحتقار من قبل جماهير الجزائريين الذين أثبتوا في السابق أن الحلول المبترة لا تؤدي إلا إلى نتائج عكسية .

إن أحداث الجزائر الأخيرة نزعت ورقة التوت الأخيرة عن الأصوات والتيارات والأحزاب والشخصيات المطلة عبر أجهزة التثقيف والإعلام في العالم العربي ، والتي تمسك بخطام التوجيه وزمام القيادة.. لقد كان رد فعلها غاية في التشنج وإيغالاً في ممارسة الإرهاب الفكري ، كما كان الطرح في مجمله يفضح إشكالية ما يسمى بالتيار التحديثي والتوفيقي (حل وسط ومدهش يرمي إلى دمج الإسلام بالثقافة الغربية) وبعد هذا التيار عن أرضية المجتمع والأمة التي هي من المفترض أن يعبر عن تطلعها وآمالها . إن ما يكتب خلال هذه الفترة أبعد ما يكون عن الموضوعية وأقرب إلى شكل

"الإسقاط" النفسي حيناً ومزج الخيال المحطم بالواقع الصارخ في وجوههم... حيناً آخر .
والسؤال الحائر لا يزال يطرح بقوة : هل كان الغرب ومؤسساته الإعلامية أكثر اتزاناً من ظله العربي العلماني؟ ولعل استعراضاً لعناوين الصحف والتحليلات العربية يؤكد هذه النظرية مضيفاً إلى هذا المنحى الخطر غثاثة وسطحية واختزالاً ونقلاً "كربونياً" يدعو القارئ إلى الغثيان! (وهي لازمة لعصر الإفلاس الثقافي والإعلامي في العالم العربي اليوم) .
إن أحداث الجزائر كشفت عن "نسبية" جديدة لم تكن مكشوفة إلى هذه الدرجة وعارية إلى هذا الحد.. ، فخلال أزمة الصيف التي كانت محاولة أخرى من محاولات العقلية البوليسية لمصادرة الحل الإسلامي اتهمت جبهة الإنقاذ بأنها ضد الديموقراطية والاختيار الحر ، وأصبحت طروحات الجبهة تمثل لهؤلاء المرتجفين التسلط ، أما انتشار الجيش ومطاردته للمدنيين المسالمين فيمثل "قمة الحكمة والضبط ".. فالأمور هنا نسبية.. فالدكتاتورية النزقة والتسلط المفزع تغدو "حكمة" و "حماية للديموقراطية" و "حراسة للدستور"!! ثم أتت الانتخابات ، ولأول مرة في التاريخ المعاصر تتهم الحكومة حزباً معارضاً بأنه زوَّر الانتخابات . وبالرغم من عدم قدرة المجلس الدستوري على إثبات هذا الادعاء فإن الخيار الديموقراطي الذي دافعوا عنه قبل أيام يتحول بين عشية وضحاها إلى "كابوس" ؛ ومن خلال نسبية الثقافة هذه يطالب ابن فرنسا سعد سعدي أو مطايا الماركسيين المفلسين باستخدام القوة لمنع "الخيار الديموقراطي".. أو لم تقل اللوموند بالأمس : "الديموقراطية جميلة لكن الأصولية غير مرغوب فيها"!! إذن الإشكالية تكمن لدى الغربيين في أن الديموقراطية تستحق البكاء والعويل إذا دفعت إلى السلطة دماها المتعددة يساراً أو يميناً ، وتصبح كابوساً وديكتاتورية حين يكون المكون العقدي المخيف - الإسلام - قاب قوسين من استلام مقاليد الأمور . وهنا تكون الديكتاتورية العسكرية والتسلطية البوليسية قمة الحكمة والحرية . فالمسألة نسبية لدى صليبِّيي اليوم وحزب النفاق المحلي!!
تردد أقلام النفاق المستتر والإعلام الوصولي مقولة يسارية صدئة خلاصتها أن انتخابات الجزائر أظهرت أن القضية الاقتصادية في أساسها وأن الجماهير تريد الخبز والكساء والحياة الرغيدة.. فقط لا غير.. !! ولكن السطحية والتناقض لا حد لها في خطاب "مترجمي الفكر" و"مجتري الطروحات الغربية" ، وهم يلمزون الجبهة بأنها لا تملك برنامجاً اقتصادياً واضحاً ، وأنها لا تقدم البديل للجماهير.. ولذا فهي تلجأ لشعارات فضفاضة..
هذه "النظرية" التي اكتشفها بعض "المفكرين" و "المترجمين" تنقصها الحبكة المسرحية اللازمة لتمرير مثل هذه النكتة الثقيلة الظل.. فالجميع يعرف أن الجبهة لا تستند لأي مجموعة اقتصادية أو دعم مالي خارجي مؤثر..

وأنها خاضت الانتخابات في مواجهة أحزاب تعد الناخب الجزائري بمساعدات خارجية وتطرح برامج اقتصادية تلائم طبع الدول العربية والشركات المتعددة الجنسيات كما تكرس ربط الجزائر بالسوق الدولي ودورته الاقتصادية ؛ إضافة إلى أن الغرب قد هب لمساعدة الحكم القائم بمئات الملايين من الدولارات لمواجهة خطر الأصوليين "في الوقت الذي لم تعد الجبهة بمساعدات دولية أو تعرض أرض الجزائر في مزاد "النخاسة" النفطي وهنا نجد أن من حقنا أن نطرح السؤال المنطقي التالي :

إذا كانت القضية تدور حول جوع الجماهير وتلبية رغبتها الاستهلاكية الملحة ، فلمن ستصوت الجموع؟؟ لمجموعة سياسية لا تدعمها دول وقوى اقتصادية عظمى وتتهم بأنها لا تملك برنامجاً اقتصادياً أو خبرة إدارية كافية. أم لأحزاب ومؤسسات وهيئات تلح في حملتها الانتخابية على أهمية التعاون والاندماج بالقوى الدولية المؤثرة ، وتعد الجماهير برفاهية اقتصادية وملء البطون وسد الحاجات الاستهلاكية؟!

والجواب المنطقي والواقعي هو أن الذين ينثرون الوعود والذين تتسابق القوى الإقليمية والدولية لدعمهم اقتصادياً هم الأحرى بتوجه الجماهير الجائعة المتطلعة إلى إشباع الغرائز إليهم ! لكن ، ماذا نرى ؟ نرى الجماهير المتحدث عنها هي التي لفظت هؤلاء المرتزقة والمرتشين والأذناب بعد أن عرفت أنهم سرقوا في فترة لا تزيد عن خمس سنوات أكثر من ثلاثين بليون دولار . كما أن هذه الجماهير المتعبة ترى أن المعضلة الاقتصادية التي صنعها النموذج العلماني /الاشتراكي هي في حقيقتها مرتبطة بإطار أكبر وواقع أشمل حكم البلاد من خلال فلسفة مستوردة لا تصلح أرض الجزائر لاستنباتها ، بل حولت هذه الفلسفة أرض الجزائر - وهي الأرض المعطاء - إلى أرض بلقع بوار .

أثبتت أحداث الجزائر أن الخائفين من الحل الإسلامي ، المطاردين لدعاته يصابون بحالة من "الحول الحاد" تجعلهم يرون الشيء شيئين واللون ألواناً متداخلة والحقيقة زيفاً..!! فما إن يفوز التيار الإسلامي في أي عملية انتخابية مثلاً حتى يخرجوا للجماهير مبررين هذا الفوز بأسباب أصبحت ممجوجة من سطحيتها وتكرارها

مثل : إن أعدادا كبيرة من الناخبين لم تصوت في الانتخابات..! فمن أدراكم أن الذين لم يصوتوا سيصوتون في قناة التيار اللاديني..؟! والقاعدة الفقهية تقول : لا ينسب إلى ساكت قول ! ويقولون بأن الإسلاميين يستغلون كل قواهم وقواعدهم في الانتخابات وهل في هذا الأمر حرج وهذا من قواعد اللعبة الديموقراطية المجلوبة والتي يكون فيها إجحاف بحق الناخب لا سيما في العالم المتخلف حيث إن المناوئين للحل الاسلامي اليوم يستنفرون فئات لا تتعاطف معهم مستخدمين سيف المعز وذهبه.. وهذان كفيلان بترغيب وترهيب أعداد كبيرة لا تصوت عن قناعة ؟؟

ثم أخبرونا أيها المتباكون على كل نصر للأصالة والعودة إلى الجذور.. كم يصوت في انتخابات أمريكا (النموذج الديموقراطي)..؟ أليسوا في حدود النصف إن لم يكن الرقم أقل من لك.. ثم يحكم الرئيس الأمريكي ويفوز بنصف أصوات الناخبين أي أنه يحكم بأصوات المؤيدين له وهم لا يتجاوزون الربع.. ثم تُدعى هذه الانتخابات بأنها أكثر الانتخابات الديموقراطية نزاهة وأرقى نماذج الحكم الذي توصلت له البشرية اليوم؟!
إن حالة "الحول المفاجيء" تصيب مرضاها بمضاعفات خطيرة أبرزها "الانفصام النفسي" والتناقض المحجوج الذي لا شفاء منه إلا بالصدق والأمانة وهذا دواء يستعصي على من مرد على النفاق قبوله .

تصور أن...

تصور أيها القارئ الكريم لو أن تسلسل الأحداث في الجزائر قد سار بطريقة مختلفة عما آل إليه الأمر.. وتصور لو أن المسار التصاعدي للتحولات الجزائرية قد انحرف إلى زاوية ترضي أهواء الغرب - لا سيما فرنسا وأمريكا - والنظام السياسي العربي القائم ، بقيادة أي اتجاه محارب للإسلام معاد لأصول الأمة ومعتقدها.. ، قد تقول إن الشعب الجزائري قد أثبت بالدليل القاطع رفضه لكل "الجراثيم الفكرية" ووقف في وجهها وقفة الرجل الواحد مرة بعد أخرى!! لكن دعنا نفترض مساراً آخر للحدث ، يرضي ولو آنياً خيال المنافقين والعملاء.
تصور أن "حسين آيت أحمد" في الجزائر قرر عقب السماح بتكوين الأحزاب أن يرشح نفسه للانتخابات البلدية في الجزائر.. وأنه - ويا للهول - قد حصد أكثر من ثمانين بالمئة من البلديات وأكثر من ستين بالمئة من أصوات الناخبين..!! ماذا ستكون افتتاحيات اللوموند والفيجارو والنيويورك تايمز وصحافة العرب المترجمة والمرتجفة من خصوم آيت أحمد وليكن علي بلحاج أو عباسي مدني ، وكأني بها وقد حملت عناوين ضخمة أحدها بالخط العريض "الجزائريون يلفظون الظلام ويختارون الرجل المتحضر"..!
تصور أن الرجل المتحضر الذي يحقد على الإسلام ويرفض التحدث بالعربية - لأنه متحضر فهو يتحدث بالفرنسية - قد أصبح الزعيم المرتقب للجزائر ، وعندها قرر الحزب الحاكم أن يقلم أظافره ويغير من قانون الانتخابات بحيث يحول دون انتصار كاسح للرجل "المتحضر" و"خياره العلماني"... سيكون ملخص التعليقات والتحليلات شرقاً وغرباً : "مجزرة الديموقراطية في الجزائر"! وتصور أن الرجل "المتحضر" قد قام بمقاومة هذا الظلم والحيف بأسلوب متحضر هو الآخر ونادى بالجزائريين المتعاطفين معه أن يقاوموا القانون الجائر بالتظاهرات السلمية في الساحات العامة منبهاً لضرورة البعد عن استخدام العنف.. أخال أن الوكالات الدولية ستحمل الخبر الآتي "غاندي الجزائر.. ينادي بالثورة السلمية ضد الظلم"!!

تصور أن العسكر قد قرروا أن ينهوا ربيع الديموقراطية وذلك بافتعال مواجهة مصطنعة مع الزعيم المتحضر وجماهيره المنضبطة وخلال هذه المواجهة تفصل السلطات جميع الرافضين للتسلط والقهر ، كما تزعم أن آيت أحمد "وزبانيته" يخططون للانقلاب على السلطة وتعرض على وسائل الإعلام الدولية الأدلة الدامغة على ذلك.. (كما فعلت بعد مواجهتها مع جبهة الإنقاذ في الصيف الماضي) مقلمة أظافر.. وسكيناً لتقشير التفاح.. وحبلاً .. وزجاجة كوكاكولا فارغة!!!

ولـم تجد السلطات العسكرية بداً للحد من تزايد التعاطف مع الزعيم المتحضر حسين آيت أحـمـــد سوى أن تعتقله ونائبه دون توجيه تهمة أو جناية وتأمر الجيش بالنزول للشوارع وتلغي الانـتـخـابـــات لأجل غير مسمى!! وهنا قد تتسارع الأحداث وتعلن فرنسا سحب سفيرها من الجزائر وتـوقـــــف تعاملها مع الجزائر.. أما بوش زعيم النظام الدولي الجديد فيعلن أن نظامه الجديد لن يـسمح للدكتاتورية بالعيش.. أو أن يتحول بن جديد إلى صدام آخر يغتال الديموقراطية ، ويـئد الأحرار بلا سبب دستوري!! وهنا تجتمع الأمم المتحدة ليلقي مندوبو الدول المؤيدة للحــريـــــــة خطباً عصماء تنادي بانتهاء عصر الظلم.. ويرسل عرفات برقية إلى بن جديد يناشده فيها بـاســــــم الكفاح المسلح أن ينهي مسلسل الإحباط ويفرج عن المناضلين الأبرار وفي مقدمتهم الأخ الفـاضــل.. حسين آيت أحمد!! تصور أيها الأخ العزيز أن قضية حسين آيت أحمد ستشغل الصحـــف الـصـفـراء والخضراء والسوداء لأسابيع.. ويصبح هذا الرجل المناضل "مانديلا الجزائر" - لاحظ الرموز المقتبسة -..

وفي ظل الحملة الدولية والإقليمية يعلن الرئيس الجزائري بأن الزعيم المتحضر سيحاكم بعدالة وأنه قرر إجراء انتخابات عامة للخروج من المأزق، لكنه يعين أحد المتواطئين معه لتفصيل القانون الانتخابي على مقاس جبهة التحرير الحاكمة..، هـــنـــــا ستوجه الأمم المتحدة (الأمريكية) تحذيراً أخيراً وتحرك القوى الخفية في داخل الجزائــر تشتري الذمم وتزرع العملاء.. ويعلن بن جديد احترامه للدستور وأن حزب القوى الاشتراكية مدعو للاشتراك في الانتخابات القادمة .

يحجم الحزب البربري وزعيمه المؤقت عن الاشتراك في الانتخابات التي ستحرمه من فوز مؤكد وساحق.. وتتدخل الأصابع الفرنسية والأمريكية والمحلية لإقـنـــاع الزعيم المتحضر ومناصريه بالاشتراك في هذه الحملة لإحراج السلطة ليس إلا..

تـصـــور أن هذا الحزب المظلوم ، المقهور ، المطارد قد فاز بـ 189 مقعداً مقابل 20 مقعداً لجبهة الإنـقــــاذ و 15 مقعداً لجبهة التحرير هنا سأكتفي بعنوان واحد لصحيفة عربية أفردت مـلـحـقاً خاصاً من عشرين صفحة للحدث /القنبلة ، عنونت له في صفحتها الأولى بعناوين مثيرة منها:

"انتصار خيار المستقبل على المتاجرين بالدين"
"الجزائريون يختارون التحضر ويلفظون الأصوليين البرابرة!!!"
"الأصوليون يندحرون في وجه الفوز الساحق للزعيم المتحضر" .

المستقبل لمن ؟

في يوم السبت السابع من رجب 1412 هـ الـمـوافق 212/1/1992 ظهر الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد على شاشة التلفزيون وألقى كلمـة قصيرة أعلن فيها استقالته قائلاً : إنه قرر الاسـتـقـالـة لكي لا يصـبـح عقـبـة تعرقل التفكير في حل يحفظ الوحدة الوطنية. وقال أيضاً: إن انسحابه ليس تهرباً من المـسـؤولـيـة، بل وطلب من الجزائريين أن يعتبروا ذلك تضحية . إن أخطر ما قاله هو أنه قرر الاستقالة لكي لا يصبح عقبة تعرقل التفكير في حل يحفظ الوحدة الوطنية !!.. فـمـن الـذي يـهـدد الوحدة الوطنية ؟ ومن الذي يفكر في حل يـصــرح الـرئـيـس المستقيل أنه عقبة تعرقل هذا الحل؟ لا أظـن أن الإجـابـة عـلـى هــذه التساؤلات تحـتـاج إلى عناء كبير ، فإن الأمر الذي أشغل الساحة الجزائرية بل والعربية والعالمية هــو فــوز جبـهـة الإنقاذ الإســلامية في الانتخابات الجزائرية فوزاً ساحقاً يعبر بوضوح عن حالة جديدة تمــر بـهـا هــذه الأمة للخروج من حالة الضياع والتشرذم الذي تعيشه ، وعلى الرغم من أن الأحداث في الجزائر تمر بمـرحـلـــة انتقالية يصعب التكهن بنتائجها ، فإنه يجب على كل مسلم أن يعيش مع إخوانه في آمالهم وآلامهم وتجاربهم ، وألا يبخل عليهم بما يستطيع من دعوة صالحة في ظـهـر الغيب ، ونصيحة مشفقة خالصة مع دعمهم بكل ما يستطيع . ومساهـمـــة فـي هـــذا السبيل نقدم هذه القراءة المتواضعة في أحداث الجزائر لعلها تكون عوناً على فهم الحاضر والتعامل مع المستقبل .

وجيز الأحداث :

في الأول من نوفمبر 1954 أعلن حزب جبهة التحرير الوطنية ميثاقه ومما جاء في ذلك الإعلان :

استعادة دولة جزائرية ذات سيادة ديموقراطية واجتماعية في نطاق المبادئ الإسلامية . وقامت حرب التحرير على أساس إسلامي شديد الوضوح ، وقدم الجزائريون التضحيات العظيمة من أجل استعادة إسلامهم وعروبتهم ، حتى سميت الجزائر بلد المليون شهيد ، ولكن ما إن تم التحرير ، وخرج المستعمر ؛ حتى تربع على السلطة من سرق ثمرة الجهاد ، فكافأ رجاله بفتح المعتقلات والسجون لمن ؟ لعملاء الاستعمار ؟ لا ، بل للدعاة المخلصين الذين لهم الدور الأكبر في مجاهدة المستعمر ، وقام (بن بلا) ومن بعده (بومدين) بفرض النهج الاشتراكي ، وأقاموا دولة بوليسية قائمة على الكبت والاضطهاد ، مع ما صاحب ذلك من عمليات سلب لثروات الأمة .

وفي عهد (بن جديد) الذي خلف (بومدين) لم يتغير شيء سوى ازدياد عمليات النهب المنظمة للثروة ، أو عجز الحكومة ، أو قل : عدم اهتمامها بتقديم الخدمات الأساسية للشعب المطحون ، فحصلت أحداث شغب في يونيو (حزيران) 1988 م مما أوقع مئات القـتلى ، واتضح فشل النظام وترهله مما أرغمه على اللعب بورقة التعددية الحزبية ، وسياسة الانفتاح والحرية ، وفتح المجال لتكوين الأحزاب ، ولم تعد جبهة التحرير متفردة بالساحة السياسية ، فقد تم تسجيل حوالي 58حزباً تراوحت بين إسلامية من طرف وإلحادية من طرف آخر وكثير من اللافتات المتنوعة في الوسط ، مما يدل على شراسة الهجوم الفكري الذي تعرض له هذا الشعب المسلم ، ومن هذه الأحزاب :

1- جبهة الإنقاذ الإسلامية تم إعلانها رسمياً في مطلع 1989 م وذلك بمبادرة من عدد من الدعاة من بينهم رئيس الجبهة الشيخ عباسي مدني ، ونائبه الشيخ علي بلحاج وللجبهة مجلس شورى يتكون من 60 عضواً .

2- حركة المجتمع الإسلامي (حماس) وتم إعلانها في ديسمبر 1990 م على يد الشيخ محفوظ النحناح .

3- حركة النهضة الإسلامية : قام بإعلانها الشيخ عبد الله جاب الله .

4- حزب الأمة : أسسه يوسف بن خده رئيس الوزراء سابقاً ، وهو يؤكد على الأهداف الإسلامية والعربية.

5- حزب القوى الاشتراكية : (FFS) قام بتأسيسه حسين آيت أحمد عام 1989م . ويدعو إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة ، وتبني التعددية اللغوية والثقافية بين عربية وبربرية وفرنسية (علماني بربري فرانكفوني) .

6- التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية : أسسه الدكتور سعيد سعدي وهو حزب بربري شبيه بالحزب السابق .

7- الحركة من أجل الديموقراطية : أسسه أحمد بن بلا الرئيس السابق .

8- حزب العدالة والإصلاح : أسسه قاصدي مرباح رئيس الحكومة السابق بعد خروجه من جبهة التحرير.

9- حزب الطليعة الجزائري (الحزب الشيوعي)

10- حزب التجديد الجزائري .

11- الحزب الوطني للتضامن الإسلامي .

12- حزب التجمع الجزائري البومديني الإسلامي .

13- الحركة الجزائرية من أجل العدالة والتنمية .

وغيرها بالإضافة إلى جبهة التحرير الوطني التي حكمت الجزائر لمدة ثلاثين سنة متوالية.

انتخابات الجزائر ، حقائق وأرقام :

جرت الانتخابات يوم الخميس 26/12/1991 وقد بلغت نسبة التصويت 58% من أصل 12.2 مليون ناخب . وبلغت الأصوات الباطلة حوالي 10% وأعلن

وزر الداخلية عن عدم وصول ما يقارب من مليون بطاقة انتخابية إلى أصحابها ، وقد بلغ عدد الذين أدلوا بأصواتهم حوالى 7 مليون و700 ألف وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بنسبة المشاركة في الدول الغربية ، أما نتائج الانتخابات فقد كانت صدمة لمن أجروها ولمن أعلنوها ، وتباينت ردود الفعل فقد كانت الصدمة بادية على محيا وزير الداخلية وهو يعلن الفوز الكاسح لجبهة الإنقاذ ، كان متعباً وهو يقرأ النتائج بصوت متهدج ، أما رئيس الوزراء فقد حلّ ضيفاً على القناة الثانية في التلفزيون الفرنسي ، وقد كان شاحباً وحزيناً متلعثماً وكان يبدو تحت وقع الصدمة (1).

وخلافاً للتوقعات التي كانت تنتظر أن تكون النسب على الشكل التالي :

* 150 مقعداً للجبهة الإسلامية .
* 120 مقعداً لجبهة التحرير .
* 70 مقعداً لجبهة القوى الاشتراكية .
* 40- 50 مقعداً للتجمع من أجل الثقافة والديموقراطية .
* 40 مقعداً للأحزاب الأخرى والمستقلين .

فقد جاءت النتائج على النحو التالي :

لقد شارك 49 حزباً من أصل 58 فازت جبهة الإنقاذ بـ 188 مقعداً من أصل 228 وحلت جبهة القوى الاشتراكية في المركز الثاني بحصولها على 27 مقعداً ، أما جبهة التحرير الوطني فقد جاءت في المرتبة الأخيرة وحصلت على 16 مقعداً فقط ، والمستقلون حصلوا على 3 مقاعد .

كانت ردود الفعل متباينة ، ويمكن معرفة ردود الفعل الرسمية غير المعلنة عن طريق متابعة وسائل الإعلام ، وهذه أهم ملامح التوجهات الإعلامية في تلك الفترة :

* في اليوم الأول الذي أعلن فيه الفوز الساحق لجبهة الإنقاذ بأكثرية الأصوات لم تشر جل الصحف إلى ذلك، مع أن وكالات الأنباء نقلت هذا الفوز الكبير .

وبعد أن أفاقوا من الصدمة بدأت مرحلة التهوين من الانتصار وتحليل أسباب انتصار الجبهة ، وحيث أن حكم الإسلام غير مطروح فقد كثرت التحليلات لكيفية الخروج من هذا المأزق وإليك بعضها :

1- التركيز على أن التصويت للجبهة كان بسبب كراهية الناس لجبهة التحرير ، وليس حباً في جبهة الإنقاذ أو كما يتولون : "ليس حباً في زيد لكن كراهية في عمرو" وكأن الجبهة الإسلامية هي الحزب الوحيد بجانب جبهة التحرير .

2 - تبنوا طروحات الأحزاب العلمانية الجزائرية الخاسرة وادعوا أن الانتخابات فيها الكثير من التجاوزات من جانب جبهة الإنقاذ ، بل وقدمت طعون كثيرة بصورة مبالغ فيها حيث بلغت 341 طعناً قدمت فيها جبهة التحرير 174 طعناً ، وهولوا من خطورة هذه الطعون على مستقبل الجبهة حيث ستفقد أغلبية

المقاعد التي حصلت عليها ، ولكن المجلس الدستوري رفض هذه الطعون وكان على وشك إعلان ذلك ومنعه من ذلك الأحداث اللاحقة .
3- أكثروا من الكلام حول امتناع حوالي نصف الناخبين عن المشاركة وأنهم ضد الجبهة ، وأن الفرصة سانحة لتعديل النتيجة في الدور الثاني ، ولكن هذا التحليل تهافت سريعاً ، حيث بدأت الأحزاب العلمانية تحذر من الخطر على الديموقراطية عندما تحكم جبهة الإنقاذ ، وطالب بعض الديموقراطيين بالغاء الانتخابات.
4- وفي النهاية تعلقوا بالأمل الأخير لحماية الديموقراطية والحفاظ على الدستور وهو الجيش الذي تتجاذبه النزعات الفرنسية والأمريكية .
5- ولقوة هذا الخيار فقد بدأوا بالكلام عن السيناريو والإخراج لهذا الترتيب ، حيث تحدثوا عن خلاف بين بن جديد والجيش واحتمال استقالة بن جديد ، وذلك بعد فشل الأحزاب العلمانية في محاولة جر الجبهة للاصطدام بها ، ليكون ذلك ذريعة لتدخل الجيش بدعوى حفظ النظام .
أما مراسل هيئة الإذاعة البريطانية فقد قال في سلسلة أحاديثه (الجزائر عشية أول انتخابات حرة) إن رئيس الوزراء هو مرشح الجيش لتشكيل حكومة ائتلاف ديموقراطي بعد الانتخابات ، وفي الحلقة الثانية شكك بقبول جبهة الإنقاذ لقواعد اللعبة الديموقراطية ، وفي الحلقة الرابعة تحدث عن الجماعات الإسلامية وأشاع دعاوى كاذبة حول إهدار الإنقاذ لدم محفوظ النحناح . وفي الحلقة الخامسة تحدث عن آيت أحمد المتفرنس البربري وعن تكتيكه الجديد وكيف أن مرشحيه صاروا يستعملون العربية الفصحى .
أما موقف الإعلام في شمال أفريقيا فهو كما يلي :
* بعد ظهور نتائج الانتخابات بدأت الصحافة الجزائرية الناطقة بالفرنسية وأجهزة الإعلام الأخرى التي يسيطر عليها الشيوعيون ؛ بدأوا بحملة ضارية ضد الجبهة وتخويف الناس من مستقبلهم إذا اختاروا الجبهة ، أما في المغرب فقد التزمت الصحف الرسمية الصمت في البداية ، مما يوحي بأنها لا تريد تحديد موقف متسرع وأن الأمر متعلق بأمور داخلية ، ثم تحول الأمر إلى هجوم على الأصولية .
* وفي تونس كانت الانتخابات محل اهتمام كبير لدى الأوساط السياسية والرسمية حيث جاءت النتائج مخالفة لما توقعته من فوز جبهة التحرير ، وأبدت تلك الأوساط قلقاً صريحاً من فوز الإسلاميين في الجزائر .
* وفي مصر عكست الصحافة القلق من هذه التطورات وأهمية اتخاذ المثال المصري للديموقراطية القائم على خنق الأفكار الإسلامية والسماح بأحزاب تحددها السلطة سلفاً .
أما وسائل الإعلام الغربية فإنها منذ بدء الانتخابات وهي تهول وتحذر من المد الأصولي القادم الذي سيخرب البناء الجزائري ، وسيعيد البلاد إلى عصور

التأخر ، ولمحت بعض الصحف من جانب آخر إلى أن وصول الإسلاميين ربما يجعلهم يهتمون بالسلاح النووي ، وفي برنامج أسبوعيات الصحافة البريطانية ، الذي أذيع في يوم الجمعة 28/6/1412 هـ (3/1/1992م) نقل البرنامج العديد من وجهات النظر البريطانية المتشنجة وفيها صحيفة (اليوربيان) التي أسسها اليهودي "ماكسويل" ، التي نشرت تحليلاً يثير الخوف والهلع من استلام الإسلاميين ، وقالت بأن الجيش سيتولى الحكم وسيحكم مجلس مكون من جنرالين ورائد وهم وزير الدفاع ووزير الداخلية ورئيس الشرطة السرية حتى لا يتمكن الإسلاميون من الحكم .
أما (الايكونومست) فقالت بأن الجزائريين لن يصمتوا حيال حكم مستبد جديد بدل حكم مستبد سابق .
أما فرنسا فقد تعاملت في البداية بحذر يعكسه ما نسب إلى الأمين العام لوزارة الخارجية حين قال : "إن بلاده تعتبر ما تشهده الجزائر قضية داخلية فرنسية نظراً لامتداداتها داخل فرنسا ، وأضاف بأن علاقاتنا بالجزائر ثابتة لا تتأثر بعوامل ظرفية مؤقتة" . ويوضح الخلاف الحاصل في الوقت الحاضر بين فرنسا والحكومة الانقلابية تحسس فرنسا من عدم ثبات النظام الجديد ، وبالتالي لا تريد التورط معه في علاقة تؤثر على مستقبل العلاقات ، وقد يكون الانقلاب أمريكياً يقصد منه إبعاد الإسلاميين وأيضاً النفوذ الفرنسي ، ولا ننسى انقلاب عبد الناصر الأمريكي على النفوذ البريطاني في مصر .

الموقف الإيراني :

كانت السياسة الخارجية الإيرانية ناجحة كعادتها في محاولة توظيف الأحداث التي تحدث في العالم الإسلامي لصالحها ، وقد استفادت إيران كثيراً من قضية سلمان رشدي رغم أنها ركبت هذه الموجة متأخرة ، وكانت الرابح الأكبر من حرب الخليج وتحطيم العراق ، وها هي تستفيد مما يعانيه السودان من ضيق اقتصادى ، وهي الآن تحاول الاستفادة من أحداث الجزائر وتوظيفها لصالح النفوذ المتزايد لشيعة إيران ، حيث تظهر بمظهر الحكومة الوحيدة التي تتبنى التحولات الحاصلة نحو الإسلام . مع أنهم في الحقيقة لا يحبذون قيام حكومة سنية في الجزائر كشأنهم مع أفغانستان ، ولكنه موقف سياسي ، وقد وقع 170 نائباً إيرانياً رسالة أوضحوا فيها دعمهم الكامل للشعب الجزائري ، ولذلك وصلت الأمور بين البلدين إلى سحب الجزائر سفيرها في طهران ، ولا يسعنا هنا إلا أن نقول للإخوة في جبهة الإنقاذ : حذار من إيران .

جبهة الإنقاذ بعد الانقلاب :

مـــــن المؤكد أن ما جرى كان احتمالاً وارداً ، ولكن الجبهة استفادت من الخيار المطروح لتثبت للعــالم أن الشعوب تريد الإسلام ، وأيضاً تريد إحراج أدعياء الديموقراطية في كل مكان وبالتالي كـــــــان تعاملها مع النظام الجديد بحكمة ، فقد حرصوا على أن لا يُجَرُّوا بالاستفزاز حين بدأ النظــام

بحملة اعتقالات القصد منها استفزاز الجبهة لردة فعل تكون مبرراً لضربة عنيفة ، وقـد توجت هذه الحملة باعتقال الشيخ عبد القادر حشاني الرئيس المؤقت للجبهة يوم الأربعــاء 18 رجب 1412 هـ (22/1/1992م) بتهمة تحريض الجيش على التمرد ، وكانت هـيـئـة الإذاعة البريطانية قد أجرت مقابلة معه قبل اعتقاله بقليل أوضح فيها أن الجبهة لن تتخلى عن اختيار الشعب لها .

وإننا نرجو الله -سبحانه وتعالى- أن ينصر عباده المخلصين وأن تصمد الجبهة أمام هذه الهجمة ، وأن تستمر متماسكة وتعود أقوى مما كانت ، وإننا على ثقة بنصر الله ، والله غالب على أمره ، ولا ننسى قوله تعالى :
((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ واللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ..)) .

الهوامش:

1- الأسبوع العربي 6 / 1 / 1992 .

كتب

أقوال العلماء في كتاب: إحياء علوم الدين

اختيار: أم قتيبة

إن كتاب إحياء علوم الدين للشيخ أبي حـامــد الـغـزالي المتوفى سنة (505 هـ) رحمه الله وعفا عنه ، وهو كتاب عرفه العامة و المثقفون والـعـلماء والجاهلون ، وقد كثرت فيه أقوال العلماء سلباً وإيجاباً ، وقيل عنه بأنه يحتوي على أحـاديـث وآثـار ضعـيـفـة بل موضوعة كثيرة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ، وقد رأيت أن أورد أقوال بعـض العلماء في هذا ، الكتاب:

1- الذهبي :

قال في "سير أعلام النبلاء"(1) :

"أما "الإحياء" ففيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير ، لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية ، نسأل الله علماً نافعاً ، تدري ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن ، وفسره الرسول -صلى الله عليه وسلم- قولاً وفعلاً ..."

إلى أن قال معرضاً :

"وإياك وآراء عباد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضيات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيش أصحاب الخلوات ، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة ، فواغوثاه بالله ، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم" .

2- ابن كثير:

قال في "البداية والنهاية"(2) عن الغزالي :

"وصنف في هذه المدة كتابه "إحياء علوم الدين" وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوّف وأعمال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ، ومنكرات ، وموضوعات ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره .
وقد شنَّع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح ، في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وأراد المازري أن يحرق كتابه "إحياء علوم الدين" وكذلك غيره من المغاربة ، وقالوا ، : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأما ديننا ، فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله ، كما قد حكيت ذلك في ترجمة من "الطبقات" ولقد زيَّف ابن شكر مواضع "إحياء علوم الدين" . وبيّن زيفها في مصنَّف مفيد ، وقد كان الغزالي يقول : أنا مُزْجى البضاعة في الحديث..".

3- ابن تيمية :

قال في "درء تعارض العقل والنقل"(3)
"ذكر أبو حامد في كتاب الإحياء كلاماً طويلاً في علم الظاهر والباطن ، قال : "وذهبت طائفة إلى التأويل فيما يتعلق بصفات الله تعالى ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره ، ومنعوا التأويل ، وهم الأشعرية - أي متأخروهم الموافقون لصاحب "الإرشاد" - قال : وزاد المعتزلة عليهم حتى أولــوا كونه سميعاً بصيراً والرؤية والمعراج وأنه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط، وجملة من أحكام الآخرة،ولكن أقروا بحشر الأجساد والجنة ، واشتمالها على المأكولات" .
قلت -أي ابن تيمية - ، : تأويل الميزان والصراط ، وعذاب بالقبر ، والسمع والبصر ، إنما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية .
قال أبو حامد : وبترقّيهم إلى هذا الحدّ زاد الفلاسفة ، فأولوا كل ما ورد في الآخرة إلى أمور عقلية روحانية ولذات عقلية .
إلى أن قال : "وهؤلاء هــم المسرفون في التأويل ، وَحَدُّ الاقتصاد بين هذا وهذا دقيق غامض لا يطّلع - عـلـيــــه - إلا الموفقون ، الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع ، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هم عليه ، ونظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فيه ، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أوَّلوه ، فأما من يأخذ هذه الأمور كلها من السمع ، فلا يستقر له قدم" .
قلت - أي ابن تيمية - : هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول - صلى الله عليه وسلم- شيء من الأمـــور العلمية ، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة. وهذان أصلان للإلحاد فإنَّ كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات" .

وقال رحمه الله في "مجموع الفتاوي"(4) في معرض كلامه في الصفات والأسماء ونقضه كلام الفلاسفة :
"وأبو حامد في "الإحياء" ذكر قول هؤلاء المتأولين مــــن الفلاسفة وقال : إنهم أسرفوا في التأويل ، وأسرفت الحنابلة في الجمود ، وذكر عن أحمد بن حنبل كلاماً لم يقله أحمد ، فإنه لم يكن يعرف ما قاله أحمد ، ولا ما قاله غيره من السلف في هذا الباب ، ولا ما جاء به القرآن والحديث ، وقد سمع مضافاً إلى الحنابلة ما يقوله طائفة منهم ، ومن غيرهم من المالكية والشافعية ، وغيرهم من الحرف والصوت . وبعـــض الـصـفـات مثل قولهم : إن الأصوات المسموعة من القراء قديمة أزلية ، وإن الحروف المتعاقبة قديمـة الأعيان ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ويخلو منه العرش ، حتى يبقى بعض المخلوقات فوقـــه ، وبعضها تحته ، إلى غير ذلك من المنكرات . فإنه ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقـــول أقوالاً ظاهرها الفساد ، وهي التي يحفظها من ينفر عنهم ، ويشنع بها عليهم ، وإن كان أكثرهم يـنـكـرهـا ويدفعها ، كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحمد ومـالـك والشافعي ، فإن جماهير هذه الطوائف ينكرها ، وأحمد وجمهور أصحابه منكرون لها .

4- ابن الجوزي :

قال في "تلبيس إبليس" :(5)
وجاء حامد الغزالي فصنف لهم كتاب "الإحــــيـــاء" على طريقة القوم ، وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها ، وتكلم في علم المكاشفة ، وخرج عن قانون الفقه ، قال : إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم -صلوات الله عليه- أنوار هي حُجُبُ -عز وجل- ، ولم يرد هذه المعروفات ! وهذا من جنس كلام الباطنية !
وقال في (منهاج القاصدين) (6)
واعلم أن فـي كـتـــاب "الإحـيـــاء" آفات لا يعلمها إلا العلماء ، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعة ، والموقوفة وقد جعلها مـرفـوعـــة ، وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افتراها ، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع ، والاغترار بلفظ مصنوع .

5- محمد ناصر الدين الألباني :

قال في "سلسلة الأحاديث الضعيفة"(7):
"وكم في كتاب "الإحياء" من أحاديث جزم بنسبتها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي مما يقول الحافظ العراقي وغيره فيها : لا أصل له" .

الهوامش :

1- 19/339
2- 12/180
3- 5/347

4- 17/362
5- ص 186
6- المختصر ص 3
7- 1/18

الانصهار في حمأة التهلكة

د.عبد الله عمر سلطان

مـا من يوم تطلع فيه الشمس ، إلا يزداد اليقين بأن هذه الأمة أُتيت من مقتل ، وجوبهت مــن جهة ضعف ، وتخاذلت عن صيحات التحذير ، وآيات النذير... ، فالقرآن الكريم ، منـهجها الذي يجب أن تتحاكم إليه ، مليء بأخبار المهالك ، والفتن وأسبابها ، والسنة الكـريمة أتت محذرة من الوهن وأسبابه ، والضمور ومقدماته.. والإخلاد للدنيا والانغماس في حمأتها كان في معظم الأطوار البشرية نتيجة لتمكن أمة وعلو كعبها وشأنها.. حتى إذا فرحت بما نالت وظفرت ، كان ذلك سبب زوالها وحقها...

أما أمـتـنـــا اليوم ، التي تفجر من تحت أقدامها خزائن الأرض فإنها حرقت كل مراحل النصر والتمـكــين واكتفت بالنعم ، كما ينقلب السفيه الأحمق في مال موروث لم يبذل فيه عرقاً ولا أنفق فيه جهدا أو كدحاً .

نحن أمة عالة على ثروتها ، وثروتها - ويا للبشاعة - خنجر يوجه إلى صدرها لإغراقها في التافه والسطـحــي والهامشي حتى فقدت كل أسباب المنعة والقوة ، وبدلاً من أن تكون هذه النعمة الموهوبـــة أداة بناء ، كانت أداة هدم ، وبدلاً من أن ترقى إلى وسيلة تمكين ، صارت قنطرة انكسار متتال .

نحن أمة حتى قرن مضى ، كانت تعيش التكافل وتشعر بأحاسيس الجسد الواحد.. ، وما إن انقلبت أعضاؤها في عصر الانحطاط إلى قبائل تسمى دولاً ، وعشائر تملك مقعداً في الأمم المتحدة ، حتى غُذي لدى الأغنياء شعور العزة والأنفة انطلاقاً من الثروة الزائلة ، وغرس في يقين الضعفاء هذا الحقد المريع على إخوانهم الميسورين لكونهم ميسورين... أصبح الغني لا يعرف قيمة سوى للدرهم والدينار... والفقير لا يلهث سوى من أجل ذلك البريق... بل وفي غفلة وجهل رضـيـنـا أن صارت دنانيرنا ودراهمنا أوراقاً خضراً نقش عليها الطاغوت الأمريكي عبارته الكاذبة "بالله نحن نثق In God We Trust" وأصبحنا لا نثق إلا بهذه الورقة القادمة عـبــر البحار... أليست التهلكة... كما رواها لنا أبو أيوب... حينما حمل رجل من المسلمين على الروم "فقال الناس : مه مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بأيديه إلى التهلكة ! فقال أبو أيوب الأنصاري : إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، أو يبلى من نفسه !؟ إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، فلما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقيم في أحوالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ((وأَنـفِـقُـوا فِـي سَـبِـيـــلِ

اللَّهِ ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلَى التَّهْلُكَةِ)) فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها دون الجهاد ، قال أبو عمران : - راوي الحديث - فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية.
التهلكة الإقامة والتركيز على مظاهر الزينة المنتفشة ، وترك رسالة الله في الأرض وحملتها يلاقون أبشع عصور السحق والاضطهاد .
التهلكة أن ترسم لنا جامعة ستانفورد "خطط التنمية" كما حصل في بعض الدول العربية ، ومن ثم تضع وزارات التخطيط زوراً اسمها على هذه الخطط...
التهلكة أن تهجم الأمة بلا ضابط ولا رادع نحو بيع العينة والأخذ بأذناب البقر، والرضى بالزرع ، وترك الجهاد .
التهلكـــة أن تصبح أمتنا نهباً للأعداء وعملائهم من البيادق المحلية الذين سقوا أمتنا المر والعلقم ، حتى أصبحنا كالقصعة تماماً والتي يحيط بها الواهنون من غثاء الأمم .
التهلكة أن تتحـول آلاء الله ونعمه إلى وسيلة انتحار بطيء نتجرعه بحبور وننتظر مزيداً منه في مرحلة الغيبوبة التي لا بد أن تنجلي !!

منتدى القراء

محمد خير البشر

عبد الجبار الطعمة

مـحـمـد خـير الـبشــــــــر حــمــد نـــور ظـهــر
به استنارت أرضــنـــــــا والظـــلم قد ولى وفـــر
هـو النبي المرتجـــــــــــى يشــفع من هول سـقـر
مـيـلاده نـبراسـنـــــــــا سيرتـه خير الســيـر
طـاعــتـه واجــبــــــــــةٌ ومـن أطـاع قـد ظـفــر
جـبريـل قـد لـقَّـنــــــــه بـالله آيـات الـســــور
أنـزل دسـتـــورٌ لـنــــــا فيه النـواهي والـنــذر
فـيه أحــــاديث الألـــــى مـروا ولـم يـبـق أثـــر
مـعـجــــزة ظـــاهـــــــرة على المـدى لا تـندثــر
هـزت قـريـشــا آيـــــــــُهُ فأيقـنـت صدق الخـبـر
لانــت وكانــت قبلـــــــه قلوبـها مـثل الحـجــر
سـبــحــان مــن غــيرهـــا مـن بعد غـي وبـطـــر
به استعادت عــزهـــــــا وفاخـرت كـل الـبـشــر
وجـاهـدت بـــسـيـفــهـا لم تخـش في الله خطـر
حـولهــا اللـــه مــــن الـ ضـعـف ومن عيش كدر

إلى لـيـوث حـــــــــرة أبـت مـعـانـاة الضـــرر
فازت بجـنـــت الـعـــــــلا عـنـد مـلـيـك مقـتـدر
مـقـعـــــد صـــدق لـم يَدْرُبِخَــلَـدٍ ولا عَـــبَــــر
قـد نـبـذوا فـانــيــــــــة حُـفَّـت بهـول وخـطـر
إبـلـيـس قـد زيّـَنــهــــــا وهـي عـجـوز ذات شر
تـبـرز للطــالـــب فــــــي أبــلــغ زي مـعـتـبـر
كـم أهـلـكـت من بـشـــــر أردتـهـم وسـط ســقــر
لـكـن عـبـــاد الـلـــه لـم يـصـبـهـمُ مـنـهـا شـرر
فـضـل مـن الله لـــمـــــن حـبـاه لـطـفــاً فـغـفـر
فـلـيـغـفــر الله لـنـــــافـهـو الـعـفـو الـمـقـتـدر

استثمار المواقف

خالد السبيعي

أورد ابن حجر (في الميزان) قـصـة عجـيـبة ، ذكرها أبو محمد بن حزم لعبد الله بن محمد بن العربي ، والد القاضي أبي بكر ، "أنه - أي ابن حزم - شهد جنازة ، فدخل المسجد فجلس ، قبل أن يصلي ، فقيل له ، قم فـصـلِّ تحـيـة المـسجد ، ففعل ، ثم حضر أخرى فبدأ الصلاة ، فقيل له : اجلس ليس هذا وقت صلاة ، وكــان بـعـد الـعـصـر : فحصل له خـــزي ، فقال للذي رباه : دلني على دار الفقيه ، فقصده وقرأ عليه الموطأ، ثـم جـد فـي طلب العلم بعد ذلك" .

لقد أجاد أبو محمد كما رأينا في التعامل مع هذا الموقف ، وحوله من خسارة إلى مكسب ، إن هذه القضية نموذج ساطع لفن التعامل مع المواقف واستثمارها .

ولا نستطيع في - الواقع - الاستمرار في الحديث عن الموقف واستثماره دون وضع تعريف محدد للمقصود به هنا ، فالموقف إذاً : "هو كل ما يتعرض له الفرد من أحداث ، ويتطلب منه اتخاذ قرار ، إيجابي أو سلبي ، تجاه هذه الأحداث ، ويكون له القدرة على اتخاذه" وبعبارة اخرى ، فالحياة : مجموعة مواقف .

إن استثمار المواقف يحتاج إلى منهج واضح ، لعلنا في هذه العجالة نلقي ضوءاً على بعض أسسه ، إن المبادئ (العقائد) التي يحملها الفرد ، والقيم التي تحكم تصرفاته ، والطباع الشخصية المحركة لدوافعه ، تمثل الأسس الداخلية التي يقوم عليها منهج الاستثمار المتوازن للمواقف ، فضعف الإيمان بالمبدأ - مثلاً - أو قوته ومدى سلبيته أو إيجابيته ، ونتائج التخلي عنه تحدد مدى قوة تأثير العامل .

كما أن هناك مؤثرات أخرى (خارجية) ، كالبيئة التي يعيش فيها الفرد والأصدقاء المقربين له ، والضغوط التي يتعرض لها سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية وغيرها كثير ، وسيكون استعراضنا هنا لأثر الأسس أو العوامل الداخلية (الفردية) وذلك لأنها المحدد النهائي لمدى الاستجابة (الاستثمار) وكيفيته .
فالأنَفَة - على سبيل المثال - طبع شخصي عند ابن حزم ، دفعته إلى تصحيح وضع خاطئ (جهل المرء بدينه) بإيجابية ملهمة - كما رأينا سابقاً ، وجعلته فيما بعد ممن يشار إليهم بالبنان .
والتعصب الأعمى للقبيلة. وكل تعصب أعمى - من القيم الجاهلية المعروفة إلا أن أثرها كما سيظهر في القصة التالية خطير وأي خير .
فـقــد أورد ابن كثير في (البداية والنهاية) رواية للبيهقي جاء فيها أن أبا جهل وأبا سفيان والأخـنـس ابـن شـــــريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكـــل لا يـعـلـــم بمكان صاحبه، فـبـاتــوا يـسـتـمـعـــون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال لبعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم أنصرفوا، وتكرر هذا الأمر ثلاث ليـال، حتى قالوا: " لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فـلـمـا أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته وسأله عن رأيه فيما سمع قال ابو جهل : "ماذا سمعت؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه !".
انظر إلى هذه القيم وماذا تفعل بالبشر !
أمـا عـــن أثـر الـمـبـادئ - وهو الأهم - على استثمار المواقف فالشواهد عليه لا تحصى، وسنعرض لموقف فريد منها، لم يتكرر في القرآن الكريم، ولـم يـذكـــــر صاحبه إلا في هذه السورة التي حملت اسمه ، إنه النبي يوسف - عليه الصلاة والسلام-.
وسنتوقف قليلاً عند هذا الموقف ونتأمله! كما وصفة الله -عز وجل- في محكم تنزيله . رزق الله يوســــف -عليه السلام- بجمال أخاذ في الخلقة ، وعقل راجح ، وفصاحة في البيان و... مما جعلـــه محط أنظار الناس .
وسكن في بيت العزيز - حاكم مصر - بعد أن اشتراه بثمن بخس!! ، وأعجبت به امرأة العزيز : ((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَــا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

والْفَحْشَاءَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ * واسْتَبَقَا البَابَ وقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا البَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [يوسف 23-25] .
كانت الظروف كلها - مهيــأة تقريباً لحدوث ما لا تحمد عقباه ، إن حب الشهوات طبع بشري عالجه يوسف -عليه الصـلاة والسلام- وأزاله بالمبدأ السامي (طاعة الله) ، والذي هو عقيدة كل مسلم .
وختاماً فإن الفرد - منا - بحاجة إلى مبادئ صحيحة يعتقدها وتنير دربه ، وقيم صالحة
ينتقيها ، وطباع بشرية يهذبها ، ليكون الاستثمار الأمثل للحياة .

نحو وعي إسلامي سياسي

عبد الرحمن البشير

إلـى الأمـة المسلمـة، إلى الأمة العربية: أي إسلام تريدون؟ أتريدون الإسلام المستأنس، أم إسلام الخوارج ، أم إسلام الكتاب والسنة ؟
لأن الإسلام من عـنـد الله الذي لا يحابي أحداً ، ولا تكريم عنده إلا للتقي ، ولأن التقوى منزلة عزيزة المطلب ولأن حب التسلط من طبع البشر ولا يتخلص إلا القليل منهم من نوازع نفسه وحب ذاته؛ ولأن الآيـة والحـديـث سـيـف في يد قائلهما ؛ لكل ذلك لا بد للسلطان الذي يحكم الهوى أن يستأنس إسلاماً يسانده في سلطانه ويحقق منافعه ويستخدمه سلاحاً ضد أعدائه . وعملية استئناس الإسلام عملية قـديـمـة قـدم الانحـــراف عن منهج الكتاب والسنة، وستستمر ما بقي سلطان في الأرض يحكم بالإسلام اسماً، وبالقرآن رسماً وبالمصالح والأهواء عملاً وواقعاً .
والمستفيدون من ذلك يرون لـــزامــاً عليهم أن يقربوا رجالاً يتزينون بزي الدين فينطقونهم حيث يردون ويسكتونهم حيث يشاؤون ، ويضع هؤلاء لهم من الفتاوى ما يناسب أذواقهم وأهواءهم ، ويفصلون لهم من الدين أثواباً على قياسهم ، ولذلك فالاسلام المستأنس إسلام عجيب ، إذا كان السلطان يطبق النظام الشيوعي كان الإسلام المستأنس شيوعياً وكذلك إذا كان اشتراكياً لا ترى ولا تسمع إلا الأحاديث التي تشيد بالمساواة وآيات الإنفاق ، وإذا كان السلطان يطبق النظام الرأسمالي بكل احتكاراته وظلمه وغشمه لا تسمع إلا: "إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام" .
واليوم حيث تتشابك السبل وتشتبه النصوص وتقل المعرفة ويستأنس علماء الإسلام بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى ، ويصنع لكل سلطان في كل بلد جبة إسلامية تناسبه في الشكل والموضوع يخرج فكر الخـوارج مـــــن معاقله فنسمع عن جماعات التكفير والهجرة وعلى شاكلتها .

وإسلام الكتاب والسنة ليس هذا ولا ذاك ، إنه إسلام مهتد ينطق بالحق ولا يبرر الواقع ، ويصدع بالنص كما يريده الله ورسوله ، ولا يلوي عنقه ليوافق أهواء الناس . إسلام الكتاب والسنة هو الإسلام الكامل الذي أنزله الله لا يجامل أحداً ، ولا يستغله أحد ، يقوم عليه علماء نذروا أنفسهم لله وتواضعوا له فرفعهم وأخلصوا نياتهم فأشرقت قلوبهم بنور الوحي فعرفوا طريقهم وعظموا الله فـذل كل جبار في أعينهم ، وتواصوا بالمرحمة فعلموا الجاهل وأرشدوا الحائر وصبروا على إساءة الظالم طمعاً في هداية الخلق ورغبة في ثواب الخالق ، فأي إسلام تريدون يا أمتنا .

من نشاطات المنتدى

أقام المنتدى الإسلامي بلندن يومي السـبـت والأحد 21- 22 جمادى الآخرة الملتقى الثقافي الحادي عشر . وقد استضاف فيه الشـيخ الدكتور محمد بن سعيد القحطاني أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى ، والشيخ الـدكـتـور يوسف عبد الله الوابل أستاذ العقيدة بالمعهد العلمي بمكة المكرمة . وقد اشتمل الملتقى على المحاضرات :

* الخلاف في العقيدة : جذوره - أسبابه - علاجه
* علاقة المسلمين بغيرهم .

كما شارك الشيخان الفاضلان فـي نـدوة عن "قضايا التكفير وضوابطه" بالإضافة إلى فقرات أخرى . واختتم الملتقى بلقاء مفتوح مع أسئلة المشاركين .

هذا وقد توافد إلى الملتقى أعداد كبيرة من الرجال والنساء من جميع أنحاء بريطانيا .

كما زار الشيخ محمد سعيد القـحـطـانـي مـديـنـــــة شيفيلد في وسط بريطانيا ، وألقى فيها محاضرة عن "ثوابتنا ضد المتغيرات الجديدة" ولنفـس الـغـــــرض زار الشيخ يوسف الوابل مدينة بورتسموث في جنوب بريطانيا . والمنتدى الإسلامي يشكر الشيخين الفاضلين على هذه الزيارة المفيدة ، وعلى المحاضرات القيمة ، ويشكر جميع الإخوة الذين شاركوا في الملتقى . كما نعلن للإخوة أن أشرطة المحاضرات السابقة متوفرة ، ويمكن طلبها من مكتبة المنتدى.

بريد القراء

*** الأخت نجوى دمياطي :**

شكراً لك على مشاركتك الجيدة والمستمـرة للمجلة ، ونعتذر عن نشر مقالك الأخير "قرأت لك" لأن المقال خرج طويلاً جداً ولأنه لم يراع الأسلوب

المناسب لعرض الكتب حيث خرج بشكل مختارات من الكتاب وليس عرضاً له ونرحب بمشاركتك مستقبلاً .

*** الأخ محمد محمد بدري :**

نشكرك على مشاركتك الجيدة في المجلة ونعتذر عن نشر مقاليك الأخيرين ، لأن الكتاب الذي عرضته "رؤية إسلامية في أحوال العالم الإسلامي المعاصر" لم يعد جديداً الآن . والمقال الآخر عن الشرك قد كثر الحديث عنه على صفحات المجلة كما تعلم ، ونرحب بمشاركاتك مستقبلاً ، شاكرين لك اهتمامك بالمجلة .

*** الأخ أبو عبد الرحمن الحمروي :**

كتب مقالاً يحذر فيه من تقصير كثير من الشباب فـي أمــــر العبادة وبخاصة الخشوع في الصلاة معتذرين بقصة عمر -رضي الله عنه- أنه كان يـجـنـــد الأجناد ، وهذا إذا كان حدث لعمر -رضي الله عنه- مرة واحدة فكيف تجعلون منه قــاعـــــــدة في تشاغلكم عن الروحانية في الصلاة بما ترونه إهتماماً بالدعوة فالذي يهتم بالدعوة أولى به تمام الاهتمام بالصلاة والخشوع فيها .

*** الأخ محمد سعود الطيار:**

نشكرك على ثقتك ونسأل الله أن نكون عند حسن ظن كل مسلم ، أما عن المنتدى فليس له معهد لدراسة اللغة الإنجليزية وبه مـدرســــــة إسلامية باللغة الإنجليزية والعربية ، أما اللقاءات الإسلامية فهي في أوقات متعددة خـــــلال كل عام والدورة الشرعية خلال شهر أغسطس .

الصفحة الأخيرة

قَدَرُنا وقَدَرُهم

عبد الله القحطاني

حملت وكالات الأنباء الغربية في نـفـس الـيـوم الذي اعتقل فيه زعيم جبهة الإنقاذ المؤقت خبراً مفاده أن نحو مائة من رؤساء الزوايا الصوفية في الجزائر أعربوا عن تأييدهم للمجلس الأعلى للدولة ورئيسه بوضياف ، وأصدر هــؤلاء بـيـانــاً بعد اجتماع عقد في "ادرار" ، في الصحراء الجزائرية..وأضاف الخبر مُعرِّفاً بهذه الزعـامـات : "والزاوية مركز لتعليم القرآن تقام عادة في جوار ضريح أحد الأئمة، وتحمل اسمه، وكانت رابـطــة الـعـلـمـاء بقيادة ابن باديس قد نددت في الماضي بالزوايا وعلمائها بعد الاشتباه بتعاونها مع السلطات الفرنسية (1830 - 1862) .

هــذا الخـبــر والتعريف بالطرق الصوفية الخرافية يقدم مستنداً جديداً على تخاذل هؤلاء المشعوذين الراقـصـيـن على جــراح وآلام الـمـسـلـمـين كلما ضرب دف المستعمر ، وأذناب الاستعمار السمر!! وكأن قرنين من العمالة

والارتماء فـي أحـضـان القــراصنة الصليبيين لا تكفي لتأتي حركات وجماعات الخرافيين بدليل آخر على خيانتها وتـآمـرهــا وطـعنها في ظـهـور الأحــرار والصادقين ، ولتؤكد على أن هذه العقليات لا تزال تحكم شيوخ الرقص والموشـحـــات الآكـلـيـن مـــــن موائد أعداء الأمة الذين يرون فيهم عوناً لهم على تحقيق أغراضهم. أما أهل السنة والجـمـاعة في جزائر الأحرار فهم لا يعرفون تحت هذه الظروف للنوم طعماً، أو للقمة شهية، أو لمتاع الدنيا الـرخـيـص متعة ، لقد رأوا في سلف هذه الأمة نمـــاذج لا تنطفئ: الصحابة والتابعون والأئمة والعلـمـاء الأعلام الذين لم يخضعوا لظالم، ولم تكن تأخذهم في الله لومة لائم. وكـلـمـــات ابن تيمية لا زالت حية تنطق :"ماذا يفعل أعدائي بي أنا جنتي في صدري..إن سجني خلوة ، ونفيي سياحة وقتلي شهادة" !

قدر هذا الفريق أن يبقى رافعاً لواء السنة والجـمـاعـة على مــر العصور ، ومدافعاً عن هذا الدين ، مجاهداً في سبيله ، ولهم الفضل ، بعد الله ، بأنهم يحفظون هذا الدين غضاً كما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- وأتباعه إلى يوم الديـن ، لا يصدهم عن دين الله من خالفهم أو من خذلهم.. أما قدر الخرافيين والراقصين في الـمـوالـد والمآدب فهو العمالة والذل والاندحار عند كل نازلة تنزل بأهل الإسلام ...

تمت بعون الله والحمد لله
